خَفِيُّ الألطاف

محمد بن موسى المحمدي

النشرة الاولى | ١٤٤٢ هـ

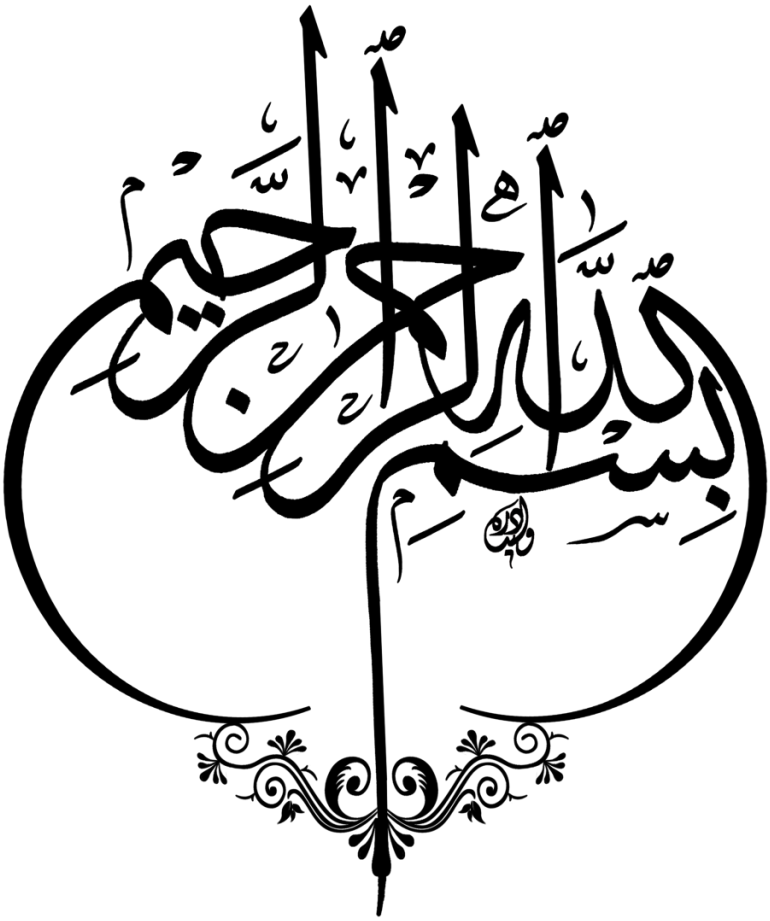
بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الرَّاسخ اعتقادُهم

أنَّ الله لطيفٌ بعباده

مقدمة

الحمد لله الذي جعل بعد الشدّة فرجاً، ويسّر بعد الضُّرِّ والضِّيق سَعَةً ومخرجاً، وصلاةُ ربي وسلامه على البشير النذير، وعلى الآل والصحب والتابعين.

وبعد، فالنّاس متقلبون في الدنيا بين رخاءٍ لا أنفع لهم فيه من الشُّكر والثناء، وبين بلاءٍ لا أحسن لهم فيهم من الصَّبر والدّعاء.

وإنَّ من أقوى ما يَفزع إليه من ذاق المكاره؛ قراءة قصص من قاسوا البلاء والمعضلات حتّى نجّاهم اللطيف الخبير بلطفٍ عجيبٍ لم يكن لهم في الحسبان.

ذلك أنَّ في هذه القصص عبرٌ ومواعظُ ودروسٌ مستفادة من تجارب الحياة، وفيها ما يشرح الصّدر، ويفتح أبواب الأمل والرجاء، واللهُ جاعلٌ بعد العسر يسرا.

ولذلك لما قرأت كتاب (الفرج بعد الشدة) للقاضي التنوخي (ت ٣٨٤هـ) انتخبت منه الصّالحَ النّافعَ الخاليَ من المخالفات والمبالغات، ثم عنونت القصص وسهّلت عباراتها واستبدلت غامضَ مفرداتها بالمألوف المفهوم لدينا اليوم.

ورجوتُ ربي جَلَّوَعَلَا أن يكتب فيها للقارئ النّفع والمتعة والعبرة، وسألته اللطف بنا في سائر أمورنا، والتوفيق لنا في جميع شؤوننا، وتضرّعت إليه أن يمنحنا نظرةَ رحمةٍ يغنينا به عن رحمة من سواه.

ألم تر أنَّ ربَّك ليس تُحصى أياديهِ الحديثةُ والقديمة
تسلَّ عن الهموم فليس شيءٌ يقيمُ ولا همومك بالمقيمة
لعلَّ الله ينظر بعد هذا إليك بنظرة منه رحيمة

الفقير إلى عفو ربه

محمد بن موسى المُجَمِّمِي

maktoob1427@gmail.com

القصة الأولى: الهاتِف

حدّث المعتصم قال:

ركب قومٌ البحر فسمعوا هاتفاً يهتف بهم: من يعطيني عشرة آلاف دينار أكلمه كلمةً إنْ أصابه غمٌّ أو أشرف على هلاك فقالها نجا.

فقام رجلٌ من أهل السفينة معه عشرة آلاف دينار فصاح: أيها الهاتف، أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وعلِّمني.

فقال: ارم بها في البحر.

فرمى ببدرتين فيهما عشرة آلاف دينار.

فسمع الهاتفَ يقول: إنْ أصابك غمٌّ أو أشرفت على هلاك فاقرأ: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾.

فقال جميع من في السفينة للرَّجل: لقد ضيَّعت مالك.

فقال: كلا، إنها لموعظة ما أشك في نفعها.

فلمَّا كان بعد أيَّام؛ غرقت بهم السفينة، ولم ينج منهم إلا ذلك الرَّجل، فإنه تعلَّق بلوحٍ حتى طرحه البحر على جزيرة، فصعد يمشي فيها

فإذا بقصر منيف، فدخله فإذا فيه مِن كلِّ ما في البحار من جواهر، وإذا بامرأة بارعة الجمال.

فقال لها: من أنت؟ وأي شيء تعملين هنا؟

قالت: أنا بنت فلان بن فلان التاجر بالبصرة، كنت مع أبي على ظهر مركب فغرق بنا في البحر، واختطفني شيطان خرج من البحر، ولم أشعر إلا ونحن على ظهر هذه الجزيرة، فمكث معي سبعة أيَّام يعبث بي من غير أن يطأني، وبعد الأيام السبعة نزل في البحر، ثم صار يمكث في البحر سبعة أيّام ويأتيني سبعة أيام، واليومَ أوان ظهوره فاتق الله في نفسك وانج قبل أن يراك.

فما أن انقضى كلامها حتى أظلمت الدنيا، وهجم الشيطان على الرَّجل يريد الفتك به، فقرأ الآيات التي أخبره الهاتف، فإذا بالشيطان يخر رماداً محترقاً.

فقالت المرأة: هلك والله، وكفيت أمره، من أنت؟

فأخبرها الرَّجل خبره، وعمل معها على جمع الجواهر والنفائس، ولازما السَّاحل أيّاماً حتى لاح لهم مركب فأشاروا إليه فحملهم، وسلمهم الله تعالى حتى أتوا البصرة.

فلما وصلوا البصرة طلب الرجل منها أن تمكث وتصف له منزل أهلها، ففعلت.

فلما أتاهم قالوا: من أنت؟

قال: رسول ابنتكم فلانة.

فارتفعت أصواتهم بالعويل، وقالوا: يا هذا، قد جدَّدت علينا مصابنا، وكانوا يعتقدون أنها غرقت.

فقال لهم: بل اخرجوا معي.

فمضى بهم حتى جاء بهم إلى ابنتهم، فكادوا يموتون فرحاً، وسألوها عن خبرها فقصَّته عليهم.

ثم سألهم الرَّجل أن يزوجوه بها ففعلوا، وتقاسم الزوجان الجواهر وعاشوا في يسر وهناء، ورزقوا الأولاد والذريّة.

القصة الثانية : قوة التوكل

حدَّث البَرْدِيُّ قال:

رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البَرَد فأفسد زرعاً كان لها، فجاء النّاس يعزونها، فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: "اللهم أنت المأمول لأحسن الخَلَف، وبيدك التعويض عمَّا تلف، فافعل بنا ما أنت أهله، فإنَّ أرزاقنا عليك، وآمالنا مصروفة إليك".

فلم أبرح حتى جاء رجل من مياسير أهل البلد، فَحُدِّث بما كان، فوهب لها خمسمائة دينار.

القصة الثالثة : سلاح الدُّعاء

حدَّث أبو الحسن الكاتب قال:

قبض عليَّ وعلى أبي أبو جعفر محمد بن القاسم بن عبيدالله، في أيَّام وزارته للقاهر بالله، فحبسنا في حجرة ضيِّقة، وأجلسنا على التراب، وشدَّد علينا، وكان يخرجنا كل يوم ويطالب أبي بمال، وأُضرب أنا بحضرة أبي ضرباً شديداً، فلاقينا من ذلك أمراً صعباً وكرباً وغمًّا عظيماً.

فلما كان بعد أيَّام، قال لي أبي: إنَّ هؤلاء الموكلون بحبسنا وضربك قد صارت لهم بنا حرمة فاحتل لمكاتبة أبي بكر الصيرفيّ -وكان صديقاً لأبي- حتى ينفذ إلينا بثلاثة آلاف درهم نفرقها فيهم.

ففعلت ذلك، فأنفذ إلينا المال من يومه.

فقلتُ للموكلين في مساء ذلك اليوم: قد وجبت لكم علينا حقوق، فخذوا هذا المال فانتفعوا به، فامتنعوا.

فقلت: ما سبب امتناعكم؟

فلمَّحوا ولم يُصَرِّحُوا.

فقلت: إما أن تقبلوا المال، وإما أن تصرحوا بسبب امتناعكم.

فقالوا: نشفق عليكم ونستحي.

فقال لهم أبي: اذكروا السبب وأنتم في حِلّ.

فقالوا: قد عزم الوزير على قتلكما الليلة فكيف نأخذ منكما شيئاً مع هذا؟

فقلت لأبي: ما أصنع بالدراهم؟

فقال: ردها على أبي بكر الصيرفي. فرددتها عليه.

وكان أبي يصوم تلك الأيَّام كلها، فلما غابت الشمس تطهَّر ولم يفطر، ثم صلينا المغرب، ثم أقبل على التنفل والدعاء حتى صلينا العشاء، ثم قال لي: اجلس يا بني إلى جانبي جاثياً على ركبتيك.

ففعلتُ، وجلسُ هو كذلك.

ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا ربِّ، محمدُ بن القاسم ظلمني، وحبسني على ما ترى، وأنا بين يديك، قد استعديت إليك وأنت أحكم الحاكمين، فاحكم بيننا.

ثم لم يزل يكرر هذا الدعاء، ويرفع به صوته ويستغيث وينادي حتى مضى ربع الليل فدُقَّ الباب فقطع دعاءه.

وعندها ذهب عليَّ أمري، ولم أشك في قتلي وإيَّاه.

فلما فتحت الأبواب دخل سابور خادم القاهر فقال: أين أبو طاهر وابنه؟

قلنا: ها نحن هنا.

قال: انصرفا إلى منزلكما فقد اعتقل محمد بن القاسم.

فانصرفنا، ولم تمض ثلاثة أيّام حتى بلغنا نبأ مقتل محمد بن القاسم.

القصة الرابعة : عقيدة العجائز

حدَّث الأصمعي قال:

نزلت بحيٍّ من كلب مجدبين، قد توالت عليهم سنوات من القحط، فماتت المواشي، ومنعت الأرض الزّرع، وأمسكت السماء القَطْر.

فجعلتُ أنظر إلى سحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء، حتى إذا صارت فوق الحيّ تشوَّف لها النَّاس ورفعوا أصواتهم بالتكبير، ثم يصرفها الله عنهم مراراً.

فلما تكرر ذلك خرجت عجوز منهم، فعلت نشراً من الأرض، ثم نادت بأعلى صوتها: يا ذا العرش، اصنع كيف شئت، فإنَّ أرزاقنا عليك.

فما نزلت العجوز من موضعها حتى تغيَّمت السماء غيماً شديداً، وأُمطروا مطراً عظيماً، وزال ما بهم من الكرب.

القصة الخامسة : الباب الذي لا يُغلق

حدّث عبدالله بن أحمد بن داسة البصريّ قال:

سمعت أنَّ بعض الجند اختطف امرأة من قارعة الطريق، فعرض له الجيران يمنعونه منها، فقاتلهم هو وغلمانه حتى تفرَّقوا.

ثم أدخل المرأة إلى بيته، وغلَّق الأبواب، وراودها عن نفسها فامتنعت، فأكرهها.

فلما جلس منها مجلس الرجل من زوجته قالت له: يا هذا، اصبر حتى تغلق الباب الذي بقي عليك أن تغلقه.

فقال: أي بابٍ وقد غلّقت سائر الأبواب؟

قالت: الباب الذي بينك وبين الله!

فوقعت الكلمة في نفسه، وقام عنها، وقال اخرجي.

فخرجت وقد سلّمها الله تعالى.

القصة السادسة : حاضِر

حدَّث أبو العتاهية قال:

لما امتنعت من قول الشِّعر أمر المهدي بحبسي مع المجرمين.

فلما دخلت الحبس دُهِشت، وذَهل عقلي، ورأيت منظراً هالني.

فقلَّبت طرفي في المكان أطلب موضعاً آمَنُ فيه، أو رجلاً آنَسُ به، فإذا أنا بكهل حَسَنِ السَّمت، نظيفِ الثوب، عليه سيماء الخير، فقصدته وجلستُ إليه من غير سلامٍ لما بي من الجزع.

ولم يمض وقت طويل حتى أنشد الرجل:

تعودتُ مسَّ الضر حتى ألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبرِ
وصيَّرني يأسي من النَّاس واثقاً بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

فاستحسنتُ البيتين وتفاءلت بهما وثاب إليَّ عقلي، فأقبلت على الرجل وقلتُ له: أعد عليَّ البيتين أعزَّك الله.

فقال لي: ويحك، ما أسوأ أدبك وأقلَّ عقلك ومروءتك، دخلتَ فلم تسلم عليَّ تسليم المسلم على المسلم، ولا توجَّعت لي توجع المبتلى للمبتلى، ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم، حتى إذا سمعتَ مني بيتين

من الشِّعر استنشدتني مبتدئاً كأنَّ بيننا أنساً قديماً أو معرفةً سالفةً أو صحبة طويلة.

فقلت له: اعذرني متفضلاً فإني دَهِشٌ مكروب.

فقال: أنت إنما تركت قول الشعر الذي به قوام جاهك عندهم فحبسوك حتى تقوله، ولا بد لك من قوله فيطلقوك، أما أنا فيدعى بي السَّاعة وأطالب بإحضار عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فإنْ دللتُ عليه لقيتُ الله بدمه، وكان خصمي فيه رسول الله ﷺ، وإن لم أفعل قُتلت، فأنا أولى بالدهش والكرب منك، ومع ذلك ترى صبري واحتسابي.

فقلت: يكفيك الله ﷻ. ثم أطرقت خجلاً منه.

فقال لي: والله لا أجمع عليك التوبيخ والمنع، فاسمع البيتين واحفظهما.

فأعادهما عليَّ حتى حفظتهما.

ثم دُعي بي وبه، فلما قمنا قلتُ له: من أنت؟

قال: أنا حاضر؛ صاحب عيسى بن زيد.

ثم أُدخلنا على المهدي فلما وقفنا بين يديه قال له: أين عيسى بن زيد؟

فقال: ما يدريني أين عيسى بن زيد، طلبتَه وأخفتَه فهرب منك في البلاد، ثم أخذتني وحبستني، فمن أين أقف على موضع هاربٍ منك وأنا محبوس؟

قال: فأين كان متوارياً؟ ومتى آخر عهدك به؟ وعند من لقيته؟

قال: ما لقيته منذ توارى، ولا أعرف عنه خبراً.

قال: والله لتدلني عليه أو لأضربنَّ عنقك السّاعة.

قال: اصنع ما بدا لك، فإني لا ألقى الله بدمه، ووالله لو كان بين جلدي وثوبي ما كشفتُ عنه.

فقال: اضربوا عنقه.

فقُدِّم فضُربت عنقه من ساعته.

ثم قال لي المهدي: أتقول الشعر أم ألحقك به؟

فقلت: بل أقول الشِّعر!

قال: أطلقوه.

القصة السابعة : عمرو بن بهنوى

حدّث محمد بن عبدروس قال:

وشى محمد بن يزيد بعمرو بن بهنوى إلى المأمون، فقال المأمون لصاحب الشرطة: يا فضل، خذ عَمْراً إليك وقيِّده وضيِّق عليه حتى يدلك على المال الذي اختلسه.

فلما أحضرَ الفضلُ عمراً حبسه في حجرة في داره، وأكرمه وجعل عنده ما يصلحه، ثم تشاغل عنه بأمور السلطان يومين.

فلما كان اليوم الثالث أرسل إليه عمرو يطلب مقابلته، فدخل عليه فأخرج إليه رقعة أثبت فيها كل ما يملكه من دورٍ وضِياعٍ وعقار وأموال وفرش وكسوة وجوهر وقماش ودوابّ ورقيق، وكان قيمة ذلك كله عشرون ألف ألف درهم، وسأله أن يوصل الرقعة إلى المأمون ويُعْلِمه أنه قد تنازل عن كل ما يملك عن طيب نفس.

فقال له الفضل: مهلاً فإنَّ أمير المؤمنين أكبر قدراً من أن يسلبك مالك كله.

فقال عمرو: هو كما وصفتَ في كرمه، ولكنَّ الواشي لا ينام عنِّي، وقد أبلغه أنْ تعاملني بغلظة وشدة، فرفقت بي، ولا آمنه عليك ولا عليَّ، وقد طبتُ نفساً بأن أشتري رضاه بجميع مالي.

فلم يزل الفضل به حتى وافق على التنازل عن شطر ماله؛ عشرة آلاف ألف درهم.

فلما صار الفضل إلى المأمون وجد عنده الواشي وهو محمد بن يزداد، وكان يكلمه فلما رآه قطع الكلام وانصرف.

فقال المأمون: يا فضل.

قال: لبيك يا أمير المؤمنين.

قال: ما هذه الجرأة منك علينا؟

قال: يا أمير المؤمنين أنا عبد طاعتك وغرس يدك.

قال: أمرتك بالتضييق على هذا النبطي عمرو بن بهنوى فقابلت أمري بالضد ووسعت عليه.

قال الفضل: يا أمير المؤمنين، إنَّ عمراً يطالب بأموال عظيمة، ولم آمن أن أجعل محبسه في بعض الدواوين فيدفع إليهم أموالاً فيطلقوه، فجعلت محبسه في داري لأحرسه لك بنفسي.

قال المأمون: سلمه إلى محمد بن يزداد.

فلما سلَّمه إليه عذّبه محمد بن يزداد، ونكّل به أشد النكال ليستولي على شيء من أمواله لنفسه فلم يجبه لذلك.

فلما علم أصحاب عَمْرٍ وعمَّاله بسوء حاله جمعوا له ثلاثة آلاف ألف درهم، وسألوا عمراً أن يدفعها لمحمد بن يزداد. فدفعها له وكتب له رقعة بذلك.

فما كان من محمد بن يزداد إلا أن دفع الرقعة إلى المأمون متبجحاً بإنجازه.

فاستدعى المأمون الفضل وقال له: ألم أُعْلِمك أنَّ غيرك أقوم بأمورنا منك؟

قال له: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

فدفع المأمون إليه رقعة عمرو بن بهنوى وفيها ثلاثة آلاف ألف درهم.

فخرج الفضل مسرعاً إلى داره وأتى بالرقعة التي كتبها عمرو، وأخبر المأمون الخبر كله، وقال له مجترئاً عليه: إني مع رفقي أبلغُ في حياطة أموالك يا أمير المؤمنين من غيري مع غلظته، ثم دفع إليه الرقعة وفيها عشرة آلاف ألف درهم.

فقال المأمون له: والله ما أدري أيكما أكرم؛ عمرو حين شكر برك وطاب نفساً بالخروج عن ملكه كله، أم أنت ومحافظتك على أهل النِّعم؟ والله لا كنتما خيراً مني.

ثم حرّق المأمون الرقعتين، وأمر بإطلاق عمرو من محبسه.

القصة الثامنة : شابَت لحيته في ليلة

حدَّث القاضي أبو عمر محمد بن يوسف الأزدي قال:

لما جرى في أمر المعتز ما جرى؛ حُبستُ وما في لحيتي شعرة بيضاء، وحُبس معي أبو المثنى القاضي ومحمد بن داوود الجرَّاح في ثلاث غرف متلاصقة، وكانت غرفتي في الوسط بينهما.

وكنا آيسين من الحياة، فكنت إذا جنَّ الليل حدّثت أبا المثنى تارة من وراء الباب، وحدثت محمد بن داوود تارة، وكان كل منا يوصي إلى صاحبه ونحن نتوقع الموت ساعةً بساعة.

فلما كان ذات ليلة وقد غُلِّقت الأبواب، ونام الموكلون بنا، ونحن نتحدث، إذ سمعنا صوت الأقفال تفتح فارتعنا.

وما شعرنا إلا وقد فتح الباب على محمد بن داوود، ثم أخرج وأضجع ليذبح، فقال: يا قوم، ذبحاً كما تذبح الشاة؟! إني أفتدي نفسي بأموالي كلها.

فما التفتوا إلى كلامه بل ذبحوه وأنا أنظر من شق الباب، واحتزوا رأسه وأخذوه معهم، وجروا جثته فطرحت في بئر في فناء الدار، ثم غلَّقوا الأبواب وانصرفوا.

فأيقنت بالقتل، وأقبلت على الصلاة والدعاء والبكاء.

فما مضت إلا سويعات يسيرة حتى سمعت صوت الأقفال تُفتح فعاودني الجزع، وإذا هم قد قصدوا أبو المثنى القاضي فأخرجوه وقالوا له: يقول لك أمير المؤمنين، يا عدو الله، يا فاسق، بم استحللت نكث بيعتي وخلع طاعتي؟

فقال: لأني علمتُ أنه لا يصلح للإمامة.

فقالوا: إنَّ أمير المؤمنين قد أمرنا باستتابتك من هذا الكفر، فإن تبت رددناك إلى محبسك وإلا قتلناك.

فقال: أعوذ بالله من الكفر، ما أتيت ما يوجب الكفر.

فأضجعوه ثم ذبحوه وحملوا رأسه وطرحوا جثته في البئر، ثم غلّقوا الأبواب ومضوا.

عندها ذهب عليَّ أمري، وأيقنت بقرب ذبحي، وأقبلت على البكاء والدعاء والتضرع.

فلما كان السَّحر سمعت صوت الدبادب **(طبول صغار كانت تضرب على أبواب الخلفاء والأمراء في أوقات الصلاة)** وإذا صوت الأقفال تُفتح ولم يبق إلا أنا فعلمتُ أني مقتول فاستسلمت لقضاء الله.

فلما فتحوا الباب أخرجوني وقالوا: يقول لك أمير المؤمنين، يا فاعل، يا صانع، ما حملك على نكث بيعتي وخلع طاعتي؟

فقلتُ: الخطأ والطيش والشِّقوة، وإني والله تائب إلى الله من هذا الذنب!

فمضى بعضهم ثم عاد وقال لي: أجب، وأسرَّ في أذني: "لا بأس عليك فقد تكلم فيك الوزير ابن الفرات وأنت مُسَلَّم إليه".

ثم جاؤوا بخفي وطيلساني وعمامتي فلبست ذلك وأُخرجت، فجيء بي إلى دار ابن الفرات، فلما رآني أقبل عليَّ يعظِّم جنايتي، وأنا أقر وأعتذر وأستسمح.

ثم قال لي: قد وهب لي أمير المؤمنين ذنبك، وابتعت منه جرمك بمائة ألف دينار تسلمها لي.

قلت: أيها الوزير، لم تر عيني بعض هذا المبلغ في حياتي.

فغمزني بأن أسكت، وكان حوله الكُتَّاب، فعلمت أنه يريد تخليصي وحقن دمي.

فقلت: عليَّ إحضار كل ما يأمر الوزير به!

قال: احملوه إلى داري.

فأخذت إلى داره، وقَرَّرَ أمري على مائة ألف دينار يُدفع نصفها عاجلاً ويُعفى عن النصف.

ثم وسَّع عليَّ في المطعم والمشرب والملبس، فدخلتُ إلى الحمّام فنظرت إلى وجهي في المرآة وإذا غالب شعر لحيتي قد ابيضَّ في ليلة واحدة.

وبعد أن أدَّيت نيّفاً وثلاثين ألف دينار سامحني ابن الفرات في الباقي وصرفني إلى منزلي.

فأقمتُ في بيتي سنين لا أخرج إلا نادراً، وأقبلتُ على الفقه والعلم حتى منَّ الله عليَّ، ورضي عني المقتدر وقلَّدني القضاء.

القصة التاسعة : سجين المَطْبَق

حدّث أبو علي النّاقد قال:

عُيِّنت مسؤولاً عن تفقد المحبوسين في سجن المَطْبَق ببغداد مدينة السَّلام في أيَّام المقتدر بالله، وهو عبارة عن قبو مظلم لا يدخل ضوء الشمس إليه بحال.

فلما دخلتُ إليه رأيتُ على ضوء الشموع رجلاً مغلول اليدين بحديد، وعلى ظهره لبنة من حديد قدّرت وزنها بستين رطلاً، فسألته عن قصته، فقال: أنا والله مظلوم.

قلت: كيف كان أمرك ؟

قال: كنتُ ليلةً من الليالي مدعوًّا عند صديق لي بسوق يحيى (محلة في بغداد) فخرجت من عنده بغلس، فلما صرت في الشارع إذا بي أرى مصابيح العسس، فدخلتني رهبة ولم أدر ما أفعل، فرأيت حزمة من القصب على باب أحد الدكاكين، فحركتها ودخلت ثم رددتها كما كانت، واختبأت حتى يمضي العسس.

فلما وصل العسس موضعي أزاحوا حزمة القصب ودخلوا، فأضاء المكان بمصابيحهم، وسألوني عن سبب وجودي هنا، وعن جثة الرجل

المذبوح بجانبي، فنظرت وإذا قتيل قد غُرس سكين في صدره، فأخذني من الجزع ما الله به عليم.

عندها قبضوا عليَّ وهم لا يشكون أني القاتل، فحبسوني وضربوني ضرباً شديداً لأعترف، فأنكرت فزادوا الضرب والتنكيل.

فاجتمع أهلي وكان لبعضهم صلة بالسلطان فتكلموا في شأني، واستشهدوا خلقاً كثيراً على حسن سيرتي، فأعفيت من القتل ولكن نقلوني إلى هذا الموضع وثقَّلوا بي الحديد، وأنا في هذا المكان المظلم منذ ست عشرة سنة!

فاستعظمتُ أمره وبهتُّ من حديثه.

ثم قال لي: وأنا والله مع هذا لا آيس من رحمة الله فإنَّ من ساعة إلى ساعة فرج.

فوالله ما خرج كلامه من فيه حتى ارتفعت ضجة كبيرة، وكُسرت أبواب السجون، ووصلت العامة إلى المطبق، وأخرجوا كل من هناك، وخرج الرجل في جملتهم إلا أنه لما رأى الضوء بعد ست عشرة سنة من الظلام عمي.

ثم وصلت منزلي وعلمتُ أنَّ (نازوك) قد قُتِل، وأنَّ الفتنة قد ثارت، وأن جميع من في الحبوس قد أطلقوا.

القصة العاشرة : عمر بن هبيرة

حدّث سليمان بن زياد قال:

كان عمر بن هبيرة والياً على العراق، ولاه يزيد بن عبدالملك، فلما مات يزيد بن عبدالملك واستخلف هشام قال عمر بن هبيرة: "سيولي هشامٌ العراقَ أحد الرجلين: سعيداً الحرشي، أو خالد بن عبدالله القسري، فإنْ ولى ابن النصرانية فهو البلاء"، وكانت أم خالد نصرانيّة.

فولى هشامٌ خالداً العراق، فدخل واسطاً وقد أذّن عمر بن هبيرة بالصّلاة وتهيَّأ لها واعتمّ (لبس عمامته) وبيده المرآة ينظر فيها إذ قيل له: هذا خالدٌ قد دخل.

فقال عمر: هكذا تقوم الساعة، تأتي بغتة!

فتقدم خالد وأخذ عمر بن هبيرة وقيَّده وألبسه مدرعة صوف.

فقال له: يا خالد، بئس ما سننت على أهل العراق، أما تخاف أن تُصرف فتبتلى بمثل هذا؟

فحبسه وأطال حبسه ونكّل به وسامه سوء العذاب.

فلما طال حبسه جاء مواليه واكتروا (استأجروا) داراً بجانب الحبس، ثم حفروا منها خندقاً إلى الحبس واستأجروا داراً إلى جانب سور المدينة؛ مدينة واسط.

فلما جاءت الليلة التي خططوا لإخراجه من الحبس؛ انتهوا بحفر النفق إلى السجن ثم أخرجوه، ومضى يمشي على قدميه حتى بلغ الدار التي بجانب السور، وكانوا قد حفروا من تحت السور نفقاً إلى خارج المدينة وهيأوا هناك خيلاً، فلما وصل هناك ركب الخيل وهرب.

ولم يعلم سجانوه بهربه إلا بعد أن أصبح الصباح لأنه كان قد ادعى قبلها بأيام أنه مصاب بمرض معد، فكان الموكلون به يتحاشون الاقتراب منه كثيراً.

فلما علم خالد بن عبدالله القسري بذلك أرسل في طلبه سعيداً الحرشي، فلحقه وبينه وبين الفرات شيء يسير لكنَّ عمراً أشعل في نفسه أواصر العصبية القبليّة فتركه يهرب.

ثم سار عمر بن هبيرة حتى بلغ دمشق بعد صلاة العشاء فدخل على مسلمة بن عبدالملك واستجار به فأجاره وأنزله معه في بيته.

فلما صلّى مسلمة خلف هشام الصبح تبعه إلى داره واستأذن عليه فأذن له فدخل.

فقال له هشام: يا أبا سعيد، أظن ابن هبيرة قد طرقك الليلة!

قال: أجل يا أمير المؤمنين، وقد أجرته فهبه لي.

قال: قد وهبته لك.

ثم إنَّ خالد بن عبدالله القسري أتى الشام فوجد ابن هبيرة عند هشام بن عبدالملك فقال له: أبقت إباق العبد؟

فأجابه: نعم، حين نمتَ نوم الأمة!

القصة الحادية عشرة : قيسبة

حدّث الكلبي قال:

خرج قيسبة بن كلثوم السُّكوني، وكان ملكاً على اليمن يريد الحج، وكانت العرب تحج في الجاهلية فلا يعرض بعضها لبعض.

فمر ببني عامر بن عقيل فوثبوا عليه وأسروه وأخذوا ماله وكل ما معه وأوثقوه في القيود.

فمكث ثلاث سنين لا يدرى عنه، وشاع في اليمن أنَّ الجن اختطفوه.

فبينما هو في يوم شديد البرد، في بيت عجوز منهم، آيسٌ من الفرج إذ قال لها: أتأذنين لي أن آتي تلك الأكمة (تلة مرتفعة) فأتشرق عليها (أطلب دفء الشمس) فقد أضرَّ بي البرد.

فقالت له: نعم.

وكانت عليه جُبَّة حَبِرة (نوع من ثياب اليمن المشهورة)، فمشى في قيوده حتى صعد الأكمة، ثم صوّب نظره نحو اليمن وغشيته عبرة فبكى، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: اللهم فاطر السّماء فرّج لي مما أصبحتُ فيه.

فبينما هو كذلك إذ عرض له راكبٌ يسير، فأشار إليه أن أقبل.

فأقبل عليه الراكب وقال له: ما حاجتك؟

قال: أين تريد؟

قال: أريد اليمن.

قال: ومن أنت؟

قال: أبو الطمحان حنظلةُ القيني.

فاستعبر قيسبة، فقال له أبو الطمحان: من أنت فإني أرى عليك سيماء الخير ولباس الملوك وأنت بدار ليس بها ملك؟

فقال: أنا قيسبة بن كلثوم السكوني، خرجتُ عام كذا حاجًّا فوثب عليَّ أهل هذا الحيّ وصنعوا ما ترى، وكشف له عن أغلاله وقيوده، فاستعبر له أبو الطمحان.

فقال قيسبة: هل لك في مائة ناقة حمراء؟

قال: ما أحوجني إلى ذلك.

قال: أنخ، فأناخ.

قال: أمعك سكِّين؟

قال: نعم.

قال: ارفع لي عن رحلك. فرفع له حتى بدا خشب مؤخر الرَّحل، فكتب عليه نقشاً بالسكين بخط المسند (وهو خط حميري لا يكتب به إلا أهل اليمن):

بلغن كندةَ الملوك جميعاً حيث سارت بالأكرمين الجِمال
ردوا الخيول بالخميس عجالاً واصدروا عنه والرَّوايا ثقال
هزأت جارتي وقالت عجيباً إذ رأت في جيدي الأغلال
إن تريني عاري العظام أسيراً قد براني تضعضعٌ واختلال
فلقد أقدم الكتيبة بالسـ ـيف عليَّ السِّلاح والسِّربال

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن ادفع لأبي الطمحان مائة ناقة حمراء.

ثم قال له: أقرئ قومي هذا فإنهم سيعطونك مائة ناقة حمراء.

فخرج تسير به ناقته حتى أتى اليمن فقصد الجون بن مالك (أخا قيسبة لأبيه وأمه) فقال له: أنا أدلك على قيسبة، وقد جعل لي مائة ناقة حمراء.

قال: هي لك.

فكشف عن الرَّحل، فلما قرأ الجون ذلك أمر له بالنوق، ثم أتى قيس بن معدي كرب الكندي فقال له: يا هذا، إنَّ أخي في بني عامر بن عقيل أسيراً فسر معي بقومك لنخلصه.

فقال له قيس: تسير تحت لوائي حتى أطلب ثأرك وأنجدك وإلا فامض راشداً.

فقال له: مسُّ السَّماء أيسر من ذلك وأهون!

ثم عاد بمن معه فقالوا له في الطريق: وما عليك لو قبلت؟ إنه ابن عمك ويطلب بثأرك فأنعم له بذلك.

فقبل كلامهم ورجع إلى قيس وسار تحت لوائه حتى وصوا ديار بني عامر بن عقيل ففتكوا بهم، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، واستنقذوا قيسبة.

وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي:

لا تشتمونا إذ جلبنا لكم ألفى كميت كلها سلهبة
نحن أبلنا الخيل في أرضكم حتى ثأرنا منكمُ قيسبة
واعترضت من دونها مذحجٌ فصادفوا من خيلنا مشغبة

الكميت: الخيل التي لونها بين الأسود والأحمر.

أبلنا: أكثرنا.

مشغبة: شرٌّ وفتنة.

القصة الثانية عشرة: المنام العجيب

حدّث أبو الربيع سليمان بن داوود البغدادي قال:

كان في جوار القاضي أبو عمر محمد بن يوسف قديماً رجلٌ انتشرت عنه حكاية، وظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل، وكنت أسمع أن أبا عمر حماه من السلطان، فسألته عن الحكاية فحاول مراراً الاعتذار، فلما رأى إصرار حدّثني فقال:

ورثتُ عن أبي مالاً كثيراً، فأسرعت في إنفاقه وإتلافه حتى بعت أبواب داري وسقوفها، ولم يبق لي من الدنيا حيلة، وبقيت مدة بلا قوت إلا من غزل أمي، فتمنيت الموت.

فرأيت ليلة في النوم كأن قائلاً يقول لي: غناك بمصر فاخرج إليها.

فبكَّرت إلى أبي عمر القاضي، وتوسّلت إليه بالجوار وبخدمة أبي لأبيه أن يزودني كتاباً إلى مصر لأعمل بها، ففعل وخرجت.

فلما وصلت مصر دفعت الكتاب إلى قاضيها فاعتذر عن تعييني في عمل، بل سدَّ عليَّ كل الأبواب وطردني.

ثم نفدت نفقتي فبقيت متحيِّراً هل أمدّ يدي وأتسول، فلم تسمح لي نفسي، وقلت لعلي إذا أظلم الظلام خرجت أسأل النّاس فلا يراني أحد.

فلما كنت بين العشاءين خرجت أمشي في الطريق ونفسي تأبى المسألة، والجوع يحملني عليها، حتى مضى شطرٌ من الليل.

وبينما أنا كذلك إذ رآني أحد رجال العسس (العسس هم الذين يطوفون بالليل يحرسون البيوت ويكشفون عن أهل الريبة واللصوص) فقبض عليَّ، ووجدني غريباً فأنكر حالي، وسألني عن خبري، فقلت له: رجل ضعيف فقير، فلم يصدقني بل بطحني وأخذ يضربني.

فصحت: أنا أصدقك.

فقال: هات.

فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها، وحديث المنام الذي جرّني إلى السفر إلى مصر.

فقال لي: أنت رجل ما رأيتُ أحمق منه، والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم كأنَّ رجلاً يقول لي: ببغداد في الشارع الفلاني في المحلة الفلانية دار يقال لها دار فلان فيها بستان فيه سدرة كبيرة تحتها مدفون ثلاثين ألف دينار فامض فخذها، فما فكّرت في هذا الحديث ولا التفتّ إليه، وأنت يا أحمق فارقت وطنك وجئت إلى مصر بسبب منام.

وتأملتُ حديثه وإذا به قد وصف بلدي ومحلتي وداري وبستاني وشجرة السدر الكبيرة التي فيه.

ثم إنَّ الرجل أطلقني، فبت في أحد المساجد ثم خرجت مع السَّحر من مصر فقدمت بغداد فقطعت السدرة وحفرت تحتها فوجدت قمقماً (إناء من نحاس ضيق الرأس) فيه ثلاثون ألف دينار، فأخذتها وأحسنت التصرف ودبّرت أمري، فأنا أعيش من تلك الدنانير ومن فضل ما ابتعت منها من ضياع (الضياع جمع ضيعة، وهي الأرض الزراعيّة التي لها نتاج) وعقار (هي الأصول كالبيوت والأراضي) إلى اليوم.

ملاحظة: الرواية العالمية الرائعة (الخيميائي) تدور حول نفس فكرة هذه القصة.

القصة الثالثة عشرة : الأعرابي الملحاح

حدّث أحمد بن عبدالله التغلبي أنَّ أبا عصمة حدّثه فقال:

كان خزيمة بن خازم التميمي –أحد كبار قوّاد الدولة العباسية- يجلس في داره للنّاس كل ثلاثاء فلا يحجب عنه أحد، ولا يستأذن أحد للدخول، بل من جاء دخل بغير إذن، فأما الأشراف ووجوه الناس فيسلمون ثم ينصرفون، وأما طلاب الحوائج فيدفع كل منهم رقعته (الرقعة قطعة من الورق أو الجلد تكتب عليها الحاجات) إلى الحاجب فيجمعها ثم يعرضها عليه.

وكان قد خصص كاتباً حصيفاً يقال له الحسن بن مسلمة، وولاه مهمة تصفح الرقاع قبل عرضها عليه، وما كان منها يمكن أن يوقع هو عليه وقع دون الرجوع له، وما كان لا بد من عرضه عليه وتوقيعه فيه بخطه أوقفه عليه.

فلا يكاد ينصرف أحد من ذلك الجمع العظيم إلا وهو مسرور بقضاء حاجته.

وكان ممن يتصرف في الأعمال رجل من الأعراب ذو لسان وفصاحة، يقال له حامد بن عمرو الحرّاني، وكان فيه إلحاح شديد.

وكان يحضر مجلس خزيمة كل ثلاثاء فيخاطبه، ولا يقنع بذلك، فإذا ركب خزيمة خاطبه في الطريق، فإذا وصل دار الخليفة خاطبه عند الباب.

وذات مرة وافق أن كان خزيمة ضجراً بشيء حدث من أمور الخلافة، فلما خاطبه حامد صاح به وطرده من بيته وقال له: والله لئن دخلت داري لأضربن عنقك، ولئن وقفت لي على الطريق لأضربن عنقك، ولئن تبعتني إلى دار السلطان لأضربن عنقك.

وكان خزيمة إذا وعد أو توعد فليس إلا الوفاء.

قال الحسن بن مسلمة: فخرجت إلى الحجاب والبوابين والجلادين وحذّرتهم من مخالفة أمر خزيمة وإلا ضُربت أعناقهم.

وخرجت أبحث عن الأعرابي فوجدته وحذرته غضب خزيمة، وأعلمته أن دمه مرتهن بنظرة ينظرها إليه في دار السلطان أو على بابه أو في الطريق، فشكرني الرجل على تحذيره، وانصرف كئيباً.

فلما أصبحنا من الغد غدوت إلى دار خزيمة لعملي المعتاد، فلما دنوت من الباب وجدت الأعرابي فقلت له: أما تخشى الله في دمك؟ أما لك عيال يسوؤهم قتلك؟ أما تعرف الرجل؟

فقال: والله ما أتيت هذا الأمر على جهل مني، وسترى من لطف الله ما يسرك.

قال الحسن: فزاد عجبي منه.

ودخلت الدار فصادفت خزيمة في بهو الدار يتهيّأ للركوب، فحين رآني قال لي: ما فعل حامد بن عمرو؟

قلت: هو والله بالباب، وقد تهددته فقال لي: سترى من لطف الله ما يسرك.

فسكت خزيمة ثم خرج، فحين رآه حامد ترجّل له، فصاح به خزيمة: لا تفعل، والحقني إلى دار أمير المؤمنين.

وسار خزيمة حتى دخل دار الرشيد، ودخلنا معه وجلسنا في موضع نجلس فيه كل مرة، ثم مضى خزيمة يريد الخليفة، وجلس حامد إلى جواري.

فقلت له: بالله ما سبب جسارتك (جرأتك) على خزيمة، ولينه لك بعد الغلظة؟

فقال: طب نفساً فلن أبدي لك شيئاً حتى يبلغ هذا الأمر آخره.

فبينما نحن كذلك إذ دعي حامد، وما أسرع ما خرج وقد خلعت عليه الخلع (هي ما يعطاه المرء من هدايا من ثياب وأموال وغيرها)، وولي ولاية على طريق الفرات كلِّه، فقمت إليه وهنّأته.

ثم قلت له: الآن تخبرني الخبر.

فقال: ليس بعد.

ثم ودّعني ومضى.

فأقمت بمكاني حتى خرج خزيمة فسرت معه إلى داره، فلما استقر قال لي: أظنك استغربت ما جرى من أمر حامد؟

قلت: إي والله أيها الأمير.

قال: اعلم أني كنت في نهاية الغيظ منه، وأمرت بقتله، فلما كان البارحة رأيته في المنام كأنه قائم يصلي وقد رفع يديه إلى الله يدعو عليَّ، فصحت به: لا تفعل، لا تفعل، وادن مني. فانفتل من صلاته وجاء حتى وقف بين يديَّ.

فقلت له: ما يحملك على أن تدعو عليّ؟

قال: إهانتك واستخفافك بي، وتهديدك لي بالقتل ظلماً، وأنا أشكوك إلى الله وأستعينه عليك.

فقلت له: طب نفساً، ولا تدع عليَّ فإني أحسن إليك غداً وأوليك عملاً.

واستيقظت، وتفكرت في الأمر وإذا بي قد ظلمت الرجل، فقلت في نفسي: شيخ له سِنٌّ وشرف، أسأت إليه بغير جرم، والله لأحسنن إليه.

قال الحسن بن مسلمة: فدعوتُ له وحسَّنت له صنيعه.

فلما كان من العشي جاءني حامد مسلماً ومودعاً ليخرج إلى عمله، فقلت له: هات الآن خبرك.

فقال: نعم، انصرفت من باب خزيمة موجع القلب، قلقاً مرتاعاً، فأخبرت عيالي فصار في داري مأتم وبكاء عظيم، ولم نطعم شيئاً يومنا وليلتنا.

فلما هدأت العيون توضأت واستقبلت القبلة وصليت ما شاء الله وتضرعت الى الله، ودعوته بإخلاص نية، وأطلت في ذلك حتى نمت وأنا ساجد، فرأيت في المنام كأني على حالي في الصلاة والدعاء وكأن خزيمة قد وقف عليَّ وأنا أدعو فصاح بي: لا تفعل، لا تفعل، واغد عليَّ فإني أحسن إليك وأوليك عملاً، فانتبهت مذعوراً ولكن قويت نفسي، فبكّرت إليه لعلّ الله يطرح في قلبه الرقة عليّ، فكان ما رأيت.

قال الحسن: فكثر تعجبي لاتفاق المنامين، وبكرت إلى خزيمة فأخبرته الخبر فعجب منه، ثم أحضر حامداً ووصله بكسوة ومال، ولم يزل بعد ذلك يتعاهده بالإحسان.

القصة الرابعة عشرة : الأوتاد الأربعة

حدَّث القاضي التنوخي قال:

رأى عبدالله بن الزبير في منامه كأنه صارع عبدالملك بن مروان فصرعه وسمّره على الأرض بأربعة أوتاد.

فأرسل عبدالله بن الزبير رجلاً إلى البصرة، وأمره أن يلقى محمد بن سيرين ويقص عليه الرؤيا، ولا يذكر له من رآها.

فأتاه وقص عليه المنام.

فقال له محمد بن سيرين: من رأى هذا؟

قال: أنا رأيته في رجل بيني وبينه عداوة.

فقال: ليست هذه رؤياك، هذه رؤيا ابن الزبير أو عبدالملك، أحدهما رأى الآخر.

فسأله تعبيرها، فأبى إلا أن يصدقه ويخبره بمن رآها، فامتنع الرجل وقفل عائداً إلى مكة، فلما وصل أخبر عبدالله ابن الزبير بالذي حصل.

فقال له: ارجع إليه واصدقه أني رأيتها في عبدالملك.

فرجع إلى ابن سيرين وصدقه.

فقال له ابن سيرين: قل له يا أمير المؤمنين إنَّ عبدالملك يغلبك على الأرض، ويلي هذا الأمر من ولده لظهره أربعة بعدد الأوتاد التي سمرته بها على الأرض.

القصة الخامسة عشرة : إيثار نادر

حدَّث أبو عبدالله محمد بن عمر السهمي الواقدي قال:

أضقت إضاقة شديدة (الإضاقة: الفقر)، ودخل عليَّ شهر رمضان وأنا بغير نفقة، فضاق صدري، وكتبت إلى صديق لي أسأله أن يقرضني ألف درهم، فبعث إليَّ بها في كيس مختوم، فتركتها عندي ولم أفتح الكيس.

فلما كان من العشي من ذلك اليوم وردت عليَّ رسالة من صديق لي يسألني العون على نفقة شهر رمضان بألف درهم، فوجّهت بالكيس إليه بخاتمه ولم أفتحه.

فلما كان من الغد جاءني صديقي الذي اقترض مني، وصديقي الذي أقرضني، فسألت الذي أقرضني فضحك وقال: والله لقد قرب شهر رمضان وما عندي إلا هذه الدراهم، فلما كتبت إليَّ وجهت بها إليك، وكتبتُ إلى صديقنا هذا أسأله قرضاً ألف درهم فوجّه إليَّ وإذا بكيسي بخاتمه فعرفتُ سرَّ المسألة، والآن نقتسمها نحن الثلاثة، وإلى أن ننفقها يأتي الله بالفرج.

فاقتسمنا المال، ودخل شهر رمضان، وأنفقت أكثرها فضاق صدري وجعلت أفكر في أمري، فبينما أنا كذلك إذ بعث إليَّ يحيى بن خالد البرمكي.

فلما غدوت إليه قال لي: يا واقدي، رأيتك البارحة في المنام على حال من البؤس والغمّ فاشرح لي أمرك.

فشرحت له ذلك، وأخبرته خبري مع صديقيَّ، فعجب وقال: والله ما أدري أيكم أكرم!

ثم أمر لي بثلاثين ألف درهم، ولهما بعشرين ألف درهم، وولاني القضاء.

القصة السادسة عشرة : ابن أبي البغل

حدَّث أبو القاسم سعد بن عبدالرحمن الأصبهاني قال:

كان أبو الحسين بن أبي البغل والياً على بلدنا أصبهان، فقدم عليه شيخ من الكُتَّاب يطلب أن يوليه عملاً، وأحضر له شفاعات من المشايخ يذكرون فيها مهارته وطول بطالته وشدة فقره وحاجته للعمل.

فلما سلّم إليه كتب الشفاعات تركها ابن أبي البغل بين يديه، وكان فيه حِدّة وغضب، فاستكثر الكتب ولم يقرأ منها إلا واحداً وأهمل الباقي.

فقال له الرجل: إن رأيت أن تقف على باقي الكتب.

فضجر وتغيّظ وقال: أليس كلها في معنى واحد؟ قد والله بلينا بكم يا عاطلين، كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد العمل. لو كانت لي خزائن الأرض لكانت قد نفدت. يا هذا، ما لك عندي عمل شاغر فأقلدك إياه، ولا في مالي فضل فأبرّك، فدبر أمرك.

فلما سكن غضب ابن أبي البغل قام الرجل وقال له: أحسن الله جزاءك. وبالغ في شكره والدعاء له، ثم ولّى منصرفاً.

فقال ابن أبي البغل: ردوه!

فلما رجع قال له: يا هذا، أتسخر مني؟ على أي شيء تشكرني؟ على إياسي لك من العمل، أم على قطع رجائك من الصلة، أم على قبيح ردي لك، أم تريد خداعي بهذا الفعل؟

فقال: والله ما أردت خداعك، وما كان منك من شدة فأمر غير منكر لأنك سلطان وقد أضجرك كثرة الواردين عليك، واتفق لشدة نحسي أن جاء طلبي في وقت ضجرك، وإني والله لم أشكرك إلا في موضع الشكر لأنك صدقتني عمّا في نفسك من أول وهلة، وأعتقت عنقي من رق الطمع، وأرحتني من التعب بالغدو والرواح إليك، وخدمة قوم أستشفع بهم إليك، وقطعت رجائي ولا تزال كسوتي جديدة ونفقتي موفرة فلعلي أستعين بذلك للذهاب لبلد آخر عند من يقبل طلبي.

فأطرق ابن أبي البغل، ومضى الرجل، فرفع رأسه واستدعاه واعتذر إليه وأمر له بصلة، وبعد أيّام قلّده عملاً جليلاً، وصلحت حال الرجل معه.

القصة السابعة عشرة : لوزينجٌ بفستق

حدّث التنوخي عن أبيه قال:

بلغني أنَّ أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري صحب أبا حنيفة النعمان ليتعلم العلم، وكان حاله شديدة الفقر، وكانت أمه تسعى فيما يتقوتونه يوماً بيوم.

فطلب يوماً ما يأكل، فجاءته أمه بصحفة مغطّاة، فكشفها فإذا فيها دفاتر!

فقال: ما هذا؟

قالت: هذا الذي أنت مشتغل به نهارك أجمع، فكل منه!

فبكى وبات جائعاً وتأخر عن مجلس أبي حنيفة من الغد، حتى سعى فيما يأكله ثم مضى إلى درس الشيخ.

فلما سأله أبو حنيفة عن سبب تأخره صدقه القول.

فقال له: ألا عرّفتني فكنت أساعدك، ثم إيَّاك أن تغتمّ فإنه إن طال عمرك فستأكل بهذا العلم اللوزينج بالفستق (**وهو نوع فاخر من الحلوى، لا يأكله إلا الخلفاء وكبار الأثرياء**).

قال أبو يوسف: فلما خدمت الرشيد وصرت من خاصة جلسائه؛ قدِّم بحضرته يوماً جامٌّ (إناءٌ يقدم فيه الطعام والشراب) فيه لوزينج بفستق.

فدعاني إليه وقال: كل فإنه لا يحصل لنا في كل حين.

قال: فحين أكلت منه ذكرت كلمة شيخي أبا حنيفة فبكيت وصرت أكرر الحمد وأبكي، فسألني الرشيد فأخبرته.

القصة الثامنة عشرة : أذان منتصف الليل

حدّث أبو الحسن محمد بن عبدالواحد الهاشمي قال:

كان لشيخ من التجار على بعض القواد مال جليل ببغداد فماطله به ثم جحده واستخف به.

فعزم التاجر على التظلم إلى المعتضد لأنه قد تظلم إلى الوزير عبيدالله بن سليمان فلم ينفعه بشيء.

فقال له بعض إخوانه: عليَّ أن آخذ لك المال دون أن تحتاج للتظلم عند الخليفة، قم معي الساعة، فقام معه.

فجاء به إلى خيَّاط في سوق الثلاثاء يعمل بالخياطة ويقرئ القرآن في المسجد، فقص عليه قصته فقام معنا.

قال التاجر لأخيه يهمس في أذنه: لقد عرّضت هذا الشيخ وإيانا لمكروه عظيم، هذا إن غدا معنا إلى القائد صُفع وصُفعنا معه، إنه لم يهتم بشفاعة فلان وفلان، ولم يفكر بالوزير فكيف يفكر في هذا الخياط الفقير؟

فضحك، وقال: لا عليك! امش وسترى.

فجئنا إلى باب القائد، فحين رأى غلمانه الخيّاط أعظموه وأهووا إلى يديه يقبلونها، فمنعهم من ذلك.

فقالوا: ما تأمرنا أيها الشيخ الجليل؟ فإنَّ صاحبنا خرج لحاجة، فإن كان لك أمر نستطيعه فعلنا، وإلا فادخل واسترح حتى يجيء صاحبنا فإنه لن يتأخر.

ولم يمض إلا وقت يسير حتى جاء القائد، فلما رأى الشيخَ أعظمه أشد التعظيم، وقال: والله لا أجلس حتى تأمرني بأمرك.

فقال له: تقضي دين الرجل.

فقال: والله ما عندي إلا خمسة آلاف درهم فليأخذها، وأعطيه حليًّا وجواهر رهناً في بقية المال، وأرجو أن يقبل.

قال الخياط: نعم، ونحن شهود على هذا الرهن، فإن حلَّ الأجل ولم توفه بقية حقه فإني وكيله في بيعه وقبض المال وسداد الدَّين.

فأجاب الرجل لذلك وخرجنا.

فلما بلغنا مسجد الخياط قلت له: قد ردَّ الله عليَّ المال بسببك فأحب أن تأخذ منه ما أحببت بطيب نفس مني.

فقال: ما أسرع ما كافأتني على الجميل بالقبيح، انصرف بارك الله لك في مالك.

قلت: بقيت لي حاجة، أن تخبرني عن سبب طاعته لك مع تهاونه بأكثر أهل الدولة.

فقال: قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي.

فألححت عليه فقال: أنا رجل أصلي بالنّاس في هذا المسجد، وأقرئ القرآن منذ أربعين سنة، ومعاشي من الخياطة لا أحسن غيرها.

وكنتُ منذ دهر قد صليت المغرب وخرجت أريد منزلي، فاجتزت بتركيٍّ كان في هذه الدار وامرأة جميلة مجتازة وقد تعلّق بها وهو سكران ليدخلها داره، وهي تستغيث ولا أحد يغيثها أو يمنعه منها، وتقول في جملة كلامها: إنَّ زوجي قد حلف عليَّ بالطلاق إن بت خارج البيت، فإن بيّتني هذا الفاسق خرّب بيتي مع ما يوقعني فيه من الفاحشة.

قال الخيّاط: فسألته أن يتركها، فضرب رأسي بقضيب من حديد كان في يده فشجّ رأسي وأسال دمي، ثم لكمني وطرحني أرضاً وأدخل المرأة بيته.

فصرت إلى منزلي وغسلت الدم وربطت على رأسي واسترحت، ثم خرجت لصلاة العشاء.

فلما صلّينا قلت لمن معي في المسجد: قوموا بنا إلى عدو الله لننكر عليه ونخلص المرأة.

فقاموا فلما وقفنا على بابه خرج إلينا في عدة من غلمانه فضربونا، وقصدني من بين الجماعة فضربني ضرباً عظيماً كدت أتلف منه، فحملني الجيران إلى منزلي كالتالف، فعالجني أهلي ونمت نوماً قليلاً، وقمت نصف الليل وطار عني النوم من الألم ومن الهمِّ والتفكير بحال المرأة المسكينة.

فقلت في نفسي: هذا رجل سكران ولا يعرف الأوقات، فلو أني أذَّنت لظنَّ أنَّ الفجر قد طلع فيخلي عن المرأة فتلحق ببيتها قبل الفجر وتسلم من الطلاق.

فخرجت إلى المسجد أتحامل على نفسي، وصعدت المنارة وأذنت، وجلست عند باب المسجد أترقب خروج المرأة، فإن لم تخرج أقمت الصلاة لئلا يشك في طلوع الفجر فيخرجها.

فما مضى وقت يسير حتى رأيت الشارع قد امتلأ خيلاً ورجالاً ومشاعل، وهم يقولون: من أذّن الساعة؟

ففزعت وسكتّ ثم قلت في نفسي لعلي أستعين بهم على هذا الفاسق، فقلت: أنا الذي أذّن.

فقالوا: أجب أمير المؤمنين.

فقلت في نفسي قد دنا الفرج.

فلما حملوني وأدخلوني على المعتضد هبته وارتعت.

فقال لي: ما حملك على أن تغر المسلمين بأذانك في غير الوقت فيخرج ذو الحاجة في غير وقتها، ويمسك المريد للصوم في وقت قد أباح الله له الأكل فيه، وينقطع العسس عن التطواف؟

فقلت: يؤمنني أمير المؤمنين وأصدقه؟

قال: أنت آمن.

فقصصت عليه قصة التركي.

فقال لصاحب الشرطة: عليَّ بالغلام السّاعة والمرأة. واستبقاني عنده.

فمضى صاحب الشرطة وأحضر الغلام التركي والمرأة، فأخبرته المرأة الخبر كما قلتُ له.

فقال لصاحب الشرطة: بادر بها إلى زوجها وأخبروه القصة وأبلغوه أمري أن يمسكها ويحسن إليها.

ثم سأل التركي عن ماله وعطائه ورقيقه، فذكر عدة جواري، فقال له المعتضد: أفما كان فيهنّ وفي هذه النعمة العريضة عندك كفاية عن ارتكاب المعاصي وخرق هيبة السلطان حتى جاوزت ذلك إلى ضرب من يأمرك بالمعروف وينهاك عن المنكر؟

فأسقط في يد التركي ولم يحر جواباً.

فقال المعتضد: هاتوا مداقّ الجِصّ (وهي نوع من العصي القويّة يدق بها الجِبس ليصبح ناعماً مناسباً لأعمال البناء) وَدُقُّوه بها.

فأخذ الجند يدقونه بالعِصي حتى مات.

فأمر به أن يطرح في دجلة وتصادر جميع أمواله.

ثم قال لي المعتضد: أي شيء ترى من المنكر كبيراً كان أو صغيراً فأنكر ولو على هذا –وأشار إلى صاحب الشرطة- فإن لم يقبل منك أحد فالعلامة بيننا أن تؤذن في مثل هذا الوقت الذي أذنت فيه فإني أجيبك.

فدعوت له وانصرفت.

وانتشر الخبر فلا أخاطب أحداً في تحقيق عدل أو الكف عن قبيح إلا استجاب لي خوفاً من المعتضد، ولم أحتج إلى الأذان في مثل هذا الوقت مرة أخرى.

القصة التاسعة عشرة : الفالوذج الحارّ

حدّث القاضي محمد بن سيّار قال:

صحبتُ جماعةً من الزُّهاد في سفر، وكان فيهم شيخ يقول: عليَّ وعليَّ ويحلف بالأيمان المغلظة أنه لا يذوق طعاماً حتى يبعث الله ﷻ إليه طبقاً من الفالوذج الحارّ، وأنه لا يأكله حتى يُحلف عليه أن يأكله أو يصيبه شرّ.

فقال له بعض الجماعة: إنك والله جاهل، وما هكذا يكون التوكل على الله.

ثم سرنا حتى انتهينا إلى قرية، وقد مضى على الشيخ الذي أقسم يومان وليلتان لم يطعم فيهما شيئاً مع توفر الطعام لأنَّ شرطه لم يتحقق.

وطرح نفسه في مسجد القرية وقد ضعفت قوته وأشرف على الموت، ففارقنا الجماعة وأقمت معه وأنا أنصحه أن يرفق بنفسه، فلا يزداد إلا عناداً.

فلما كانت ليلة اليوم الثالث وقد انتصف الليل وشارف الرجل على الموت إذ دق باب المسجد ودخلت جارية سوداء ومعها طبق مغطّى.

فلما رأتنا قالت: أنتم من أهل القرية أم غرباء؟

قلت: بل غرباء.

فكشفت عن طبق فيه فالوذج حارّ، وقالت: كلوا.

فقلت لصاحبي: كل.

فقال: لا أفعل.

فقلت: والله لتأكلنّ.

فقال: لا أفعل.

فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة، وقالت: والله لئن لم تأكل لأشبعنّك صفعاً ولطما!

فقال: الآن آكل.

فأقبلنا على الطبق حتى مسحناه!

فلما أخذته لتمضي قلت لها: بالله حدثينا خبر هذا الطبق.

قالت: نعم، أنا جاريةُ سيِّد هذه القرية، وهو رجل غضوب، طلب منا منذ ساعة فالوذجاً حارًّا، فتأخرنا في إعداده لما نحن فيه من الشتاء والبرد، فلما أحضرناه حلف بالطلاق أن لا يأكله، ولا أحد من أهل داره، ولا أحد من أهل القرية إلا غريب.

فأخذته وجعلت أبحث عن غرباء حتى وجدتكما، ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته صفعاً حتى لا تطلق سيدتي.

فنظر إليَّ الشيخ وقال: كيف ترى إذا أراد أن يفرج؟!

القصة العشرون : لا أحضر دعوة أو جنازة

حدّث أبو أحمد الحسين بن موسى النّقيب قال:

حدثني شيخ كان يخدمني، وقد تذاكرنا تجارب الحياة فقال: إنه حلف بالطلاق ألا يحضر دعوة ولا يشيع جنازة.

فسألته عن سبب ذلك.

فقال: كنت قد سافرتُ من بغداد إلى البصرة، فبينما أنا بأحد طرقها عشاء إذ استقبلني رجل فكناني بغير كنيتي، وبشّ في وجهي وتحفّى بي، وجعل يسألني عن أناس لا أعرفهم، وأقسم عليّ أن أنزل ضيفاً عنده.

وكنتُ غريباً لا أعرف أحداً بالبصرة فقلت في نفسي: أبيت عنده الليلة فإذا أصبحت طلبت سكناً.

فتظاهرت بالاعتذار منه فجذبني إلى منزله، وكان معي متاع جيّد، وفي كمي دراهم كثيرة.

فدخلت إلى منزله فإذا عنده دعوة، والقوم يشربون النبيذ، وإذا بالرجل قد خرج من الدعوة لحاجة فلما رآني ظنني صديقاً له لفرط سكره، ولذلك أصرَّ على أن أنزل ضيفاً عليه.

وكان في القوم رجلٌ له غلامٌ أمرد.

فلما أخذوا مضاجعهم للنوم أصابني أرق.

وبعد ساعة رأيتُ واحداً من الجماعة فِراشُهُ بجانب صاحب الغلام، وقد قام من فراشه وأتى الغلام الأمرد ففسق به ثم عاد إلى موضعه.

وبعد زمن يسير قام صاحب الغلام وتقدم إلى غلامه ليفسق به، فقال له: ما تريد؟ ألم تكن الساعة عندي وفعلت كذا وكذا؟

فقال: لا.

قال: قد جاءني الساعة من فعل بي، وظننته إياك فلم أتحرك، ولم أظن أنَّ أحداً يجسر عليك ويتجرأ على غلامك.

فنخر الرجل وجرد سكيناً من وسطه وقام وأنا أرعد، ولو دنا مني ورأى خوفي لظنني الفاعل وقتلني.

فلما أراد الله نجاتي بدأ الرجل بصاحبه الذي فسق بغلامه، فوضع يده على قلبه فوجده يخفق، وقد تظاهر بالنوم يرجو بذلك السلامة، فغرس السكين في قلبه، وأمسك فمه، فاضطرب الرجل حتى تلف.

فأخذ الرجل بيد غلامه وفتح الباب وانصرف.

فورد عليَّ أمر عظيم، وقلت أنا غريب وقد اتهم بالقتيل فيقضى عليّ.

فتركت رحلي، وأخذت ردائي ونعلي وطلبت الباب!

فلم أزل أمشي لا أدري أين أقصد، والليل قد انتصف، وخفت العسس فرأيت موقد نار تابع لحمّام، وكان غير مُوقَد.

فقلت: أختبئ فيه حتى يفتح الحمّام صباحاً فأدخله مع النّاس وأنجو.

فدخلت إلى الموقد، فلم يمض وقت يسير حتى سمعت وقع حافر، وإذا برجل يقول: قد رأيتك يا ابن الفاعلة، ودخل الموقد وأنا كالميت من الفزع لا أتحرك.

فلما لم يجد حسًّا أدخل رأسه ويده، ومعه سيف يحاول الطعن به لكني كنت في زاوية من الموقد لا ينالني سيفه.

وكنت صابراً محتسباً أرجو الفرج.

فلما لم يحس شيئاً خرج إلى باب الحمّام وإذا معه جارية فأدخلها ثم ذبحها وتركها ومضى.

وبعد أن مضى وقتٌ طويلٌ قدّرت أنه لم يعد هناك أحد؛ خرجت فنظرت إلى الجارية مذبوحة، فرأيت بريق خلخالين في رجليها فانتزعتهما منها وخرجت.

ولم أزل أمشي في الطريق متحيراً إلى أن صرت إلى باب حمّام مفتوح فدخلته وخبأت ما معي من ثياب عند غلام الحمّام.

فلما أصبح الصّباح خرجت وقد تذكرت صديقاً لي بالبصرة، فسألت عن داره حتى وصلتها، فطرقت الباب ففتح لي وسر بمقدمي وأدخلني.

فدفعت إليه دراهمي والخلخالين ليخبئهما.

فلما نظر إليهما تغير وجهه، فقلت له: ما لك؟

قال: من أين لك هذان الخلخالان؟

فأخبرته بخبري كله، فدخل مسرعاً إلى دار حُرَمه وخرج إليّ ثم قال: أتعرف الرجل الذي رأيته قتل الجارية؟

قلت: أما وجهه فلا، لأنَّ الليل كان شديد الظلام، ولكن إن سمعتُ كلامه عرفته.

فأعدَّ طعاماً ثم غدا في أمره، وعاد بعد ساعة ومعه رجل شابٌّ من الجند فحادثه حتى أسمع صوته ثم غمز لي بعينه ففهمت قصده فغمزت له ليفهم أنه هو الرجل الذي قتل الجارية.

ثم أحضر لنا طعاماً ونبيذاً، وما زال يسقي الشاب من النبيذ حتى سكر ونام في مكانه، فأغلق الباب وذبح الرَّجل.

وقال لي: إنَّ المقتولة أختي، وهذا كان قد أفسدها، ونمى إليَّ الخبر فلم أشأ أن أصدق، إلا أني طردت أختي فمضت إليه ولم أعرف ما كان بينهما بعد ذلك حتى رأيت الخلخالين فعرفتهما.

ولما خرجتُ من عندك ذهبتُ إلى الرَّجل وتظاهرت أني قد عفوت عن أختي، ورضيت أن يتزوجها، وسألته عنها فتلجلج بالكلام فعرفت أنه قتلها، لكنه وافق على الحضور لمنزلي على سبيل المجاملة وإبعاداً للتهمة عنه.

فقم الآن حتى ندفنه، فخرجنا ليلاً حتى دفنَّاه، وهربت من البصرة عائداً إلى بغداد، وحلفت أن لا أحضر دعوةً أبداً!

وأما الجنازة فإني خرجت ببغداد نصف النهار في يوم حارٍّ في حاجة لي، فاستقبلتني جنازة يحملها رجلان.

فقلت في نفسي: ربما هي جنازة رجل غريب فقير، أحملها معهما فأثاب.

فدخلت تحتها بدلاً من أحد الرجلين.

فحين استقرّت على كتفي افتقدت الرجل فناديته، فقال لي الذي بجانبي: قد انصرف الرجل فلنحملها معاً.

فاستحييت وقلت في نفسي: ثوابٌ أُوجر عليه إن شاء الله.

فحملناها إلى موضع الجنائز في المسجد، فلما وضعناها افتقدت الرجل الآخر.

ثم صلى الناس عليها فأخرجت من كمي دراهم ودعوتُ الحفّار أن يصنع قبراً، ففعل وأخذ أجرته.

فلما نزل القبر ناولته الجنازة ليدفنها، فلم تمض إلا لحظات حتى قفز من القبر ولطمني وأخذ بتلابيبي وصاح في النّاس: يا قوم قتيل!

فاجتمع النّاس فسألوه، فقال: هذا الرجل جاء بهذا الميت بلا رأس لأدفنه، ثم حلَّ الكفن وأراهم المنظر.

فانهال النّاس عليَّ يضربونني حتى كدت أتلف، ثم حملوني إلى صاحب الشرطة.

فسألني فأخبرته الخبر، فدعا بالجلاد وبدأ يلهب ظهري بالسِّياط وأنا أبكي وأناشدهم الله أن يصدقوني.

وكان لصاحب الشرطة كاتبٌ عاقل، فحين رآني وقع في قلبه أني صادق.

فقال لصاحب الشرطة: اتركوه في الحبس وكفوا عن جلده حتى أكشف حاله فإني أحسبه مظلوماً.

فاستجاب لطلبه.

فقام الكاتب وسألني عن حقيقة الأمر، فأعدت عليه ما سبق أن قلت، ولم أزد فيه حرفاً ولم أنقص منه حرفاً.

فذهب للجنازة يتأملها، فرأى مكتوباً على خشبة النّعش: "وقف لمسجد كذا".

فذهب إلى المسجد متخفيًا فوجد فيه المؤذن فسأله أن يعطيه خشبة النعش ليحمل عليها ميّتًا.

فقال له: قد أُخذت منّا الغداة ولم تردّ.

قال: من أخذها؟

قال: أهل تلك الدّار، وأشار إليها.

فأُخبر صاحب الشرطة فداهمها، فوجد فيها رجالاً عُزَّاباً فقبض عليهم، وحملهم إلى مقر الشرطة وجلدهم بالسياط حتى اعترفوا أنهم تعاقبوا على غلام أمرد معهم ففجروا به ثم قتلوه وطرحوا رأسه في بئر في الدار، ثم حملوا جثته وقصدهم تركها عند باب المسجد ثم يهربون.

فضُربت أعناق القوم، وخلي سبيلي، وأقسمت بعدها أن لا أحضر دعوة ولا أمشي في جنازة.

القصة الحادية والعشرون : تجليدٌ وجَلْد

حدَّث ابن قمير –مُجَلِّدُ كتب بالموصل- قال:

أعطاني أبو عبدالله الحسين بن أبي العلاء بن حمدان التغلبي دفتراً أجلده، وأكّد عليَّ الوصية في حفظه، فأخذته منه ومضيت إلى دكاني.

وكان طريقي على دجلة فنزلتُ أتوضأ، فسقط الدفتر من كمي في الماء، فتناولته عجلاً قبل أن يغرق، فوجدته قد ابتلَّ، فقامت قيامتي، ولم أشكَّ أنه سيجري عليَّ مكروه شديد من الأمير التغلبي إذ هو فاتك شجاع مهيوب.

فوطّنت نفسي على الضرب والحبس ومصادرة المال، وفكّرت في الهرب من الموصل، ثم عنَّ (بدا) لي أن أجففه وأجلده وأجتهد في تسليمه إلى غلام له وهو لا يعلم ثم أختفي وأتتبع الأخبار، فإن علمت أنه يطلبني هربت من الموصل، وإن لم يهتم بأمر الدفتر أو تمت عليه الحيلة ظهرتُ من مخبأي.

ثم اجتهدت في تجفيفه وتجليده بأحسن ما أستطيع.

فلما فرغت منه جئت إلى الحاجب لأسلمه الدفتر وأمضي إلى داري.

فلما سلمت الدفتر للحاجب قال لي: ادخل على الأمير وادفعه من يدك ليده فلعله يأمر لك بشيء!

فقلت: إني مستعجل ولعلك تسلمه له.

قال: لا يمكن.

ثم لم يدعني حتى دخلت على الأمير وأنا في همٍّ عظيم.

فوجدت أبا عبدالله جالساً على بركة في بهو داره، والغلمان قيام على رأسه، فأخرجت الدفتر من كمي.

فقال لأحد غلمانه: خذه من يده وهاته.

فجاء الغلام من جانب البركة وأنا من الجانب الآخر، ومدّ يده ليأخذه، فأعطيته إيّاه، فلم يتمكن في يده حتى سقط الدفتر في البركة وغاص إلى قعرها.

فجن جنون أبي عبدالله، وشتم الغلام، وقال عليَّ بالمقارع (وهي سياط معدة للجلد).

فحمدت الله ﷻ على استتار أمري من حيث لا أحتسب، وكفايتي مما كنت أخاف، وتفريج همي.

وخرجتُ من عنده والغلام يُجلد!

القصة الثانية والعشرون : بيت اللصوص

حدَّث محمد الصروري قال:

كان في جوارنا بمدينة واسط شابٌّ أتلف ماله في اللهو واللعب فافتقر فقراً شديداً، ثم رأيته بعد ذلك بمدة وقد أصبح ثريًّا وصلحت حاله، فقلت له: ما سبب تحسن حالك؟

فحاول الاعتذار عن الإجابة.

ثم قال: هل إذا أخبرتك تكتم سري؟

قلت: نعم.

فقال: إنَّ الفقر بلغ بي إلى حال تمنيت معها الموت، وولدت امرأتي ذات ليلة، وكانت ليلة عيد، وليس معي ما أشتري به طعاماً يبقي على حياتها.

فخرجت على وجهي أطلب من يتصدق عليَّ بشيء لأجل امرأتي.

فأفضيت إلى زقاق طويل لا أعرفه، فدخلتُ فإذا في آخره باب دار مفتوح.

فدخلت الدار بلا إذن، فإذا رجل يطبخ قدراً فصاح عليَّ وقال: من أنت ويلك؟

فقصصت عليه خبري.

فقال: امض إلى ذلك البيت، واجلس حتى أفرغ من شأن هذا القدر فأعطيك منه مع شيء من الخبز تحمله إلى امرأتك.

فدخلت البيت، ورمى إليَّ غطاء، وقال: تغطّ به ونم ساعة.

وكانت ليلة باردة، فتغطيت بالكساء واضطجعت ولكن لم أذق نوماً لما أنا فيه من الجوع والغمّ والهمّ.

فما لبثت حتى دخل رجل عريان وعلى رأسه شيء ثقيل، فقام الذي يطبخ فأغلق الباب وأنزل ما على رأس الرجل.

وقال له: ويلك، غبت حتى أيست من رجوعك.

فقال: كنت يومي وليلتي مختبئاً خلف حطب لهم حتى تمكنت من أخذ هذا الكيس، وما أدري أفيه دراهم أم دنانير، وأنا الآن ميت جوعاً فأطعمني شيئاً.

فأخذ الرجل يغرف من القدر، ومضى العريان فلبس شيئاً ثم عاد وجلسا يأكلان، ودخلني فزع شديد.

فلما أكلا أخرجا شراباً، وجعلا يشربان، وأنا متحير ماذا أصنع.

وأقبل العريان يشرب أكثر من صاحبه، وصاحبه يقول: استكثر من الشراب لتدفأ، إلى أن سكر العريان ونام.

فقام الأول وطاف بالدار واقترب مني يناديني بصوت خفيض ليتأكد من نومي وعدم معرفتي بأمره، فتظاهرت بالنوم الثقيل، وظن أني نائم فعلاً.

ثم مضى إلى النائم فذبحه، ثم لفّه في كساء وحمله على عاتقه وخرج من الدار.

فقلت لنفسي: لأي شيء قعودي هنا؟!

فقمت فوضعت الكيس في الكساء الذي كان عليَّ وخرجتُ أسعى سعياً شديداً.

فلم أزل كذلك حتى رأيت مسجداً قد فتحه إنسان وخرج منه فجلس يبول، فدخلته على حين غفلة منه، ثم جاء فدخل وأغلق الباب.

فبصر بي فقال: من أنت؟

قلت: غريبٌ جاء الساعة من الرِّيف، ولا أستطيع الذهاب لأي مكان فأجرني أجارك الله.

فقال: نم مكانك.

فوضعت كيس النقود تحت جنبي واتكأت عليه.

فلم ألبث حتى سمعت في الطريق صوت رجل يسعى سعياً شديداً، وإذا صوته صوت الرجل الذي هربت منه، وهو يقول: فعلها ابن الزانية، والله لأسفكنّ دمه.

فنظرت من شُبّاك المسجد وإذا في يده خنجر، وهو يتردد ذاهباً وجائياً وقد أعماه الله عن دخول المسجد، ثم مضى.

ولم أزل في مكاني ساهراً لا يقربني النوم من الخوف والفزع حتى طلع الصبح وأذن المؤذن.

فخرجتُ كأني أريد الوضوء، وهربت إلى داري، وأخفيت كيس النقود، وأصلحت حالي وحال زوجتي.

ثم خرجتُ إلى بستان خراب كان لأبي، فأقمت به وعمّرته ولزمت شأني، وصلح حالي.

القصة الثالثة والعشرون : نديم المهلهل

حدَّث هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن شيخ من بني شيبان قال:

أصابت بني شيبان سنةُ قحطٍ ذهبت بالأموال، فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحِيرة (مدينة بالقرب من الكوفة).

وقال لهم: كونوا قريباً من الملك يصيبكم من خيره إلى أن أرجع إليكم.

ثم خرج يلتمس كسباً وقد جهده الفقر وبلغ به الطّوى (الجوع) مبلغه.

فمشى يوماً وليلةً لا يدري أين يتجه.

فلما كان من الغد عِشاءً رأى مهراً مقيَّداً حول خباء، فقال في نفسه: هذا أول الغنيمة!

فحلَّه، ولم يسر إلا قليلاً حتى سمع نداءً: خلِّ عن المُهر واكسب نفسك.

فنزل عنه وتركه ومضى وقد داخله غمٌّ شديد.

ثم سار سبعة أيّام حتى وصل إلى موضع مبرك إبل، وقد دنت الشمس للغروب، فإذا خباء عظيم (الخباء: بيت من الوبر أو الشعر أو الصوف)، وقُبّة من أُدم (خيمة من جلد).

فقال في نفسه: لا بد لهذا الخباء وهذه القبة وهذه الإبل من أهل.

فنظر فإذا شيخٌ هرمٌ قد اختلفت ترقوتاه (الترقوة: العظمة الناتئة على الكتف بجانب الرقبة) من الكِبر كأنه نسر.

فجلس مختبئاً خلف الخباء حتى غربت الشمس، وإذا بفارس قد أقبل، لا أجمل منه وجهاً، ولا أعظم منه جسماً، على فرس عظيم، ومعه عبدان أسودان يمشيان إلى جنبه.

وإذا بإبل عظيمة تربو على المائة مع فحلها، فبرك الفحل وبركن حوله.

ونزل الفارس فقال لأحد عبديه: احلب فلانة ثم اسق الشيخ.

فحلب في قدح عظيم حتى ملأه، ثم جاء فوضعه بين يدي الشيخ وتنحّى.

فكرع منه الشيخ مرة أو مرتين ثم تركه، فتناوله الشيباني وشربه!

فرجع العبد فأخذ القدح وقال: يا مولاي، قد شربه كله. ففرح الفارس بذلك، وقال للعبد: احلب فلانة ثم اسق الشيخ.

ففعل ووضعه بين يدي الشيخ ثم تنحّى.

فكرع منه الشيخ كرعة واحدة، ثم تركه فتناوله الشيباني وشرب نصفه، وكره أن يشربه كله فيتفطنوا له.

ثم جاء العبد وأخذ القدح وقال: يا مولاي، قد شرب نصفه.

قال الفارس: خذ شاة واذبحها واشوها ثم ائتني بها.

ففعل وأكل منها الشيخ والفارس وعبداه.

فانتظر الشيباني حتى ناموا وسمع الغطيط فثار إلى الفحل فحلَّ عقاله، ثم ركبه فاندفع به، واتبعته الإبل، وسار عليه الليل كله حتى أصبح.

فلما أسفر الصباح نظر فلم ير أثراً، فواصل السير.

فلما تعالى النهار التفت التفاتة فإذا بشيء كالطائر، فما زال يدنو منه حتى تبينه فإذا هو الفارس صاحبه البارحة.

فعقل الفحل، واستخرج سهامه ونثرها، ووقف بينه وبين الإبل.

فدنا منه الفارس وقال: حُلَّ عقال الفحل.

فقال: كلا والله، لقد أضر بي الجهد، وخلَّفت نسوة وصبية بالحيرة، وأقسمت أن لا أرجع إليهم حتى أفيد خيراً أو أموت.

قال: فإنك ميت، حل عقاله.

قال: هو ما سمعت.

قال: إنك لمغرور، انصب لي خطام الفحل فإنَّ فيه خمس عقد.

ففعل.

فقال: أين تريد أن أضع سهمي؟

قال الشيباني: في هذا الموضع، وأشار إلى العقدة الأولى.

فرمى الفارس الموضع فكأنما حط السهم بيده!

ثم رمى بقية العقد فأصابها.

عندها استسلم الشيباني، وردَّ نبله، وسلّم قوسه وسيفه.

قال له الفارس: ارتدف خلفي، ففعل.

فقال له: ما تظن بي؟

قال: أحسن الظنّ مع ما لقيتَ مني من تعب ليلتك، وقد أظفرك الله بي.

قال الفارس: أفتظن أن يلحقك سوء وقد بتَّ تنادم المهلهل وتشرب معه اللبن؟

قال: فأنت زيد الخيل ابن المهلهل؟

قال: نعم.

قال: كن خير آخذ.

قال: ليس عليك بأس.

فمضى إلى موضعه وقال له: لو كانت هذه الإبل لي لسلمتها لك، ولكنها لابنة المهلهل، فأقم عندي فإني على وشك غارة.

فأقام الشيباني عنده أيَّاماً حتى أغار على بني نمير فأصاب مائة من الإبل وسلَّمها له، وبعث معه حرساً يوصلونه إلى الحيرة.

ثم عاد إلى بلده، وفرَّج الله عنه، وأصلح حاله.

القصة الرابعة والعشرون: محب البرامكة

حدَّث مسرور الخادم قال:

استدعاني المأمون فقال لي: قد أكثر عليَّ أصحاب أخبار السِّرّ (الجواسيس) أنَّ شيخاً يأتي خرائب البرامكة فيبكي وينتحب طويلاً ثم ينشد شعراً يرثيهم به وينصرف، فاركب أنت وأيوب الخادم والأصمعي ودينار بن عبدالله، واستتروا بالجدران، فإذا جاء فانظروا فعله واسمعوا قوله ثم اقبضوا عليه وأتوني به.

فركبتُ أنا ودينار والأصمعي وأيوب حتى أتينا الموضع واختفينا.

فلما كان آخر الليل إذا بخادم أسود قد أقبل، ومعه كرسي حديد فطرحه، وجاء على إثره كهل، فجلس على الكرسي، وتلفَّت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً، فبكى وانتحب حتى قلتُ يموت الآن حزناً، ثم أنشد:

أما والله لولا خوف واشٍ ... وعينٌ للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام

ثم بكى طويلاً وأنشد:

ولما رأيتُ السيف جلَّل جعفراً ... ونادى منادٍ للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي ... عليها وقلت الآن لا تنفع الدنيا

فلما فرغ من إنشاده قبضنا عليه.

فقال: ما تريدون؟

قلت: أنا مسرور خادم أمير المؤمنين، وهؤلاء الأصمعي ودينار بن عبدالله وأيوب الخادم، وأمير المؤمنين يستدعيك.

فقال الرجل: والله لا آمنه على نفسي فأمهلوني حتى أوصي.

قلنا: شأنك وما تريد.

فقام وسار ونحن معه حتى أتى أحد دكاكين باعة الحبوب في موضع يقال له (فرضة الفيل).

فاستدعى بالدواة وكتب وصيته ودفعها إلى خادم له.

ثم مضينا به حتى أدخلناه على المأمون.

فلما مثل بين يديه انتهره المأمون وأهانه وأغلظ له القول، وقال: من أنت؟ وبم استحق البرامكة ما تصنع في خراباتهم؟

فقال في ثقة: يا أمير المؤمنين، إنَّ للبرامكة عندي أياد، إن أذنت حدثتك بواحدة منها.

قال: هات.

قال: أنا المنذر بن المغيرة الدمشقي، من ذوي الحسب، نشأت في ظل نعم قديمة فزالت عني حتى بعت كل شيء وافتقرت الغاية، فأشير عليَّ أن أقصد البرامكة.

فخرجت من الشام إلى بغداد، ومعي نيف وعشرون امرأة وصبيًّا وصبيَّة، فدخلت بهم بغداد مدينة السَّلام وأنزلتهم في مسجد.

ثم عمدت إلى ثوب لي أعددته للقاء النّاس، وتركت عيالي جياعاً لا نفقة لهم، وذهبت أبحث عن سبيل يوصلني إلى البرامكة.

فدخلت مسجداً مزخرفاً فيه شيوخ بأحسن زِيٍّ وأجمل هيئة، فطمعت في مخاطبتهم ولكني خجلت وكبَّلني ذُلُّ المسألة وتصبَّبت عرقاً.

فبينما نحن كذلك إذ جاء خادم فاستدعى القوم، فقاموا وقمت معهم، ومضينا حتى أدخلنا داراً ذات دهليز طويل، فأفضى بنا ذلك الدهليز إلى بهو واسع فيه شيخ بهي الطلعة، فإذا هو يحيى بن خالد البرمكي.

وأقبل القوم وجلسوا وجلستُ معهم، وتأمل الخدم القوم فوجدوهم مائة رجل ورجل، فدخلوا وغابوا، ثم خرج مائة خادم وخادم، في يد كل منهم مجمرة من ذهب، فيها قطع العنبر، والخدم في ثياب فاخرة، وعليهم مناطق الذهب المرصعة بالجواهر (المنطقة: ما يشد به الوسط)، وهم يطوفون بغلام حسن الوجه قد اخضرَّ شاربه.

وما هي إلا لحظات حتى أقبل يحيى بن خالد على القاضي الزريقي وقال له: زوِّج ابن أخي هذا بابنتي عائشة على صداق قدره مائة ألف درهم.

فخطب وعقد النكاح وأخذوا ينثرون المسك والعنبر، والتقط النّاس والتقطت معهم.

ثم جاء مائة خادم وخادم في يد كل منهم صينية فضة فيها ألف دينار مخلوطة بالمسك، ووضع بين يدي كل رجل منا صينية.

فأقبل الرجال كل واحد يأخذ صينيتة وينصرف، حتى بقيت وحدي لا أجرؤ على أخذ الصينية، فغمزني بعض الخدم أن خذها، فأخذتها وقمت وأنا لا أصدق، وجعلت أمشي وأتلفت خوفاً من أن يتبعني من يأخذها، ويحيى يلاحظني من حيث لا أشعر.

فلما قاربت السِّتر رُددتِ فأيست من الصينية.

فلما جلست إلى يحيى سألني عن حالي وقصتي، فصدقته حتى إذا بلغت ذكر وضعي لعيالي في المسجد بكى.

ثم قال: عليَّ بموسى.

فأتى ابنه موسى فقال له: يا بني، هذا رجل من أبناء النِّعم، قد رمته الأيام بصروفها، والنوائب بحتوفها، فخذه واصطنعه (الاصطناع: الاصطفاء).

فأخذني موسى إلى داره، وخلع عليَّ أفخر الثياب، وأمر بإعطائي الصينية، وقضيت عنده يوماً وليلة.

فلما كان من الغد استدعى أخاه العبَّاس فقال له: إنَّ الوزير سلَّم إليَّ هذا الفتى وأمرني باصطناعه، وإني أريد أن أركب اليوم إلى دار أمير المؤمنين فليكن عندك اليوم حتى أرتجعه غداً.

وهكذا صاروا يتداولونني بينهم، وكلما سألتهم أن أذهب لأهلي قالوا لي هم بخير حال.

حتى كان اليوم العاشر فأدخلت على الفضل بن يحيى، فلما أصبحت جاءني خادمه وقال: قم إلى عيالك.

فدخلني همٌّ عظيم إذ ليس في يدي شيء أدفعه لعيالي.

ثم قال لي الخادم: امض معي.

فمضيت حتى أدخلني داراً كأنها الشمس، فيها من صنوف الفرش والأثاث والآلات أمراً يفوق الوصف.

فلما توسطتها رأيت عيالي أجمعين فيها، يرتعون في الديباج والحرير، وسلمني الخادم الصينية ومائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار وصك ضيعتين كبيرتين.

وقال: هذه الدار وما فيها، والضياع ملك لك.

فأقمت مع البرامكة في أحسن عيش وأجلِّ حال حتى نزلت بهم النازلة.

ثم قصدني عمرو بن مسعدة فأخذ مني الضيعتين والأموال، فكنت كلما لحقني همٌّ وغمٌّ قصدت دور البرامكة أبكيهم وأرثيهم وأدعو لهم فأجد لذلك راحة.

فاستدعى المأمون عمرو بن مسعدة وقال له: أتعرف الرجل؟

قال: يا أمير المؤمنين، هو بعض صنائع البرامكة.

قال: فرُدَّ عليه كل ما أخذت منه وزد في إحسانه.

فبكى الشيخ بكاءً شديداً.

فقال له المأمون: ما بكاؤك وقد أحسنَّا إليك؟

قال: بلى والله يا أمير المؤمنين، قد زدت على كل فضل وإحسان، ولكن هذا من بركة الله ثم بركة البرامكة عليَّ وبقيَّة إحسانهم، فلو لم آت خرائبهم وأبكيهم ما اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعل، من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين؟

فقال له المأمون: امضِ مصاحباً فإنَّ الوفاء مبارك، وإنَّ حسن العهد من الإيمان.

القصة الخامسة والعشرون: الرّاوية

حدَّث الأصمعي قال:

لزمت باب الرشيد فكنت أقيم عليه طول نهاري، وأبيت الليل مع الحراس أسامرهم، وأتوقع خيراً ونوالاً منه، حتى كدت أموت من الجوع والهزال، وكان يهجم عليَّ الملل فأدفعه بتذكر عاقبة الفرج بعد الشدة فأصبر.

فبينا أنا ذات ليلة وقد عانيت الأرق والسُّهاد إذ خرج بعض الحُجّاب فقال: هل بالباب أحد يحسن الشعر؟

قلت: الله أكبر، رُبَّ مُضيَّق فكَّه التيسير، أنا ذلك الرَّجل.

فأخذ بيدي وقال: ادخل، فإن كان في القدر لك سعادة وغنى فهي الليلة.

فقلت: بشرك الله بالخير.

فدخلت على الرشيد وإذا هو جالس في بهو قصره، والخدم قيام على رأسه، وجعفر بن يحيى البرمكي جالس إلى جنبه.

فسلمتُ على الرشيد وقلت: نور أمير المؤمنين وبهاء طلعته تذهبان من كل نفس ما تجد، يسألني أمير المؤمنين فأجيب، أم أبتدئ فأصيب؟

فتبسم جعفر وقال: ما أحسن استهلالك! وحريٌّ بك أن تكون محسناً.

فقال الرشيد: أشاعر أنت أم راوية؟

قلت: راوية.

قال: لمن؟

قلت: لكل ذي جِدٍّ وهزلٍ شريطة أن يكون محسناً.

قال: "أنصف القارة من راماها" ما معنى هذه الكلمة؟

قلت: لها وجهان. زعموا أنَّ قبيلة قارة رماة لا تقع سهامهم إلا في حدق العين، فكانوا يحرسون مواكب الملوك، فهابتهم العرب وقالوا: أنصف القارة من راماها.

والوجه الثاني أن الموضع المرتفع من الأرض يقال له قارة، فمن ضاهاه بفعاله فقد راماه، والوجه الأول عندي أصوب.

فقال: أصبت، فهل تروي عن الحجاج بن رؤبة شيء؟

قلت: أروي أكثر شعره.

قال: فأنشدني قوله: أرَّقني طارقُ همٍّ طرقا.

فمضيتُ في القصيدة مضي الجواد المضمر، تهدر أشداقي، فلما بلغت مدحه لبني أمية ثنيت عنان فرسي، وأدخلت من شعره ما يمدح به أبا جعفر المنصور.

فقال الرشيد: أعن عمد أو غير عمد؟

قلت: عن عمد يا أمير المؤمنين، تركت كذبه إلى صدقه!

قال: أتروي لعدي بن الرقاع شيئاً؟

قلت: أكثر شعره.

قال: فأنشدني قوله: بانت سعادُ وأخلفت ميعادها.

فانطلقت تهدر أشداقي.

فقال جعفر: يا هذا، أنشد على مهل فلن تنصرف إلا غانماً.

فقال الرشيد له: أما إذ قطعت كلامه فأقسم لتشركني في جائزته.

قال الأصمعي: فطابت نفسي لما رأيت الخليفة والوزير يتقاسمان لي المواهب.

فقال الرشيد: هل تروي لذي الرِّمة شيء؟

قلت: أكثر شعره.

قال: فأنشدني قوله: أمن حذر الهجران قلبك يطمح؟

قلت: عروس شعره.

قال: فما نظيرها؟

قلت: قوله: ما بال عينيك منها الماء ينسكب؟

قال: فأنشدنيها.

فمضيت فيها كالسَّهم.

ثم إنَّ الرشيد قال: إني أجد مللاً، وهذا جعفر ضيفٌ عندنا فسامره باقي ليلتك، فإذا أصبحتَ فإنَّ وضَّاءً الخادم يلقاك بثلاثين ألف درهم.

فقال جعفر: لولا أنه لا يجوز أن آمر بمثل أمر أمير المؤمنين لفعلت، ولكني آمر لك بتسعة وعشرين ألف درهم، فإذا أصبحت فاقبضها.

قال الأصمعي: فلما أصبحت حصّلت النقود، وأيسرت حالي، وزال ما بي من ضُرّ، وأقبل عليَّ الفلاح والسَّعد ولله الحمد.

القصة السادسة والعشرون : كاتب الحجَّاج

حدَّث محمد بن يزيد قال:

أمرني عمر بن عبدالعزيز بإخراج قوم من السجن، فأخرجتهم وتركت يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجَّاج، فحقد عليَّ.

فإني بأفريقية إذ نادى المنادي: "قدم يزيد بن أبي مسلم والياً من قبل يزيد بن عبدالملك بدلاً عن محمد من يزيد".

وكان ذلك بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز.

فهربت منه، ولكنه طلبني وعلم بمكاني فقبض عليَّ.

فلما دخلت عليه قال: لطالما سألتُ الله أن يمكنني منك.

فقلت: وأنا والله طالما سألت الله أن يعيذني منك.

فقال: ما أعاذك مني، والله لأقتلنك، ولو سابقني ملك الموت إلى قبض روحك لسبقته.

ثم دعا بالسيف والنّطع (النطع: بساطٌ من جلد يُفرش تحت المحكوم عليه بالقتل)، فأتي بهما، وأمر بي فأقمت في النطع وكتفت وشد رأسي، وقام ورائي رجل بسيف منتضى يريد أن يضرب عنقي، وأقيمت الصلاة.

فقال محمد بن يزيد: أمهلوه حتى أصلي.

فلما خرج إلى الصلاة، وبينما هو ساجد أخذته السيوف فقُتل، ودخل إليَّ من حلَّ كتافي ورأسي، وخلَّى سبيلي فانصرفتُ سالماً.

القصة السابعة والعشرون: عاقبة الغدر

حدّث إبراهيم بن علي النصيبيني قال:

كان في أهل نصيبين أخوان ورثا عن أبيهما مالاً عظيماً، فاقتسماه، وأسرع أحدهما في حصته حتى بدَّدها ولم يبق منها شيئاً، واحتاج إلى سؤال النّاس.

وأما الآخر فثمَّرها ونمَّاها حتى زادت.

وعرض للأخ سفر فجاء أخوه الفقير وقال له: يا أخي أنت تحتاج إلى أن تستأجر غلاماً في سفرك، وأنا أخوك أتسول النّاس، فاجعلني بدل غلام تستأجره فذلك أستر لي وأصون لك ولمالك.

فلم يشك الغني أنَّ أخاه قد صلح حاله، فرقَّ عليه وأخذه معه.

وكان للغني حمار فارهٌ يركبه، وقد استأجر بغالاً تحمل بضاعته، وأركب أخاه على بغل منها، وركب هو بغلاً آخر، وأركب المعاون معه على حمار، وساروا.

فلما استمر بهم السفر؛ وصلوا إلى جبل في الطريق، فيه كهف وعين ماء.

فقال الأخ الفقير لأخيه الغني: لو نزلنا ها هنا، وأرحنا دوابّنا، وسقيناها من هذا الماء، وأكلنا ثم ركبنا لكان أنشط لنا وأعونَ على السفر.

فقال أخوه: نِعم الرأي.

فنزل التاجر على باب الكهف وأدخل متاعه وبسط سفرة الطعام، وأخذ أخوه الفقير والمعاون معهما الدوابّ ومضيا ليسقياها.

وانتظر التاجر أخاه فتأخر في العودة، ثم جاء وحده وربط الدوابّ.

فقال له أخوه: ما تأخرك وأنا أنتظرك تأكل معي؟

قال: تأخرت أسقي الدواب.

قال: وأين المعاون؟

قال: نام عند العين من شدة تعبه.

قال: فهلم نأكل.

فتفاجأ الأخ الغني بأخيه يرميه بالحجارة العظيمة ويقول له: استكتف يا ابن الفاعلة!

قال: ويحك ما تريد؟

قال: أريد قتلك، أخذتَ مال أبي فجعلته تجارة لك، وجعلتني عبداً عندك.

ثم رفسه وألقاه على ظهره وأوثق كتافه وأثخنه ضرباً حتى شجّ رأسه وهو يصيح ولا يجيبه أحد.

ثم برك على صدر أخيه، وكان في وسطه سكين عظيمة في خُرج لها، فأراد الأخ الفقير سحبها ليذبح أخاه، فتعسَّر عليه إخراجها، ومن شدة سحبه لها أصابت رقبته فذبحته، فوقع يخور في دمه وينزف حتى مات.

فأراد الأخ الغني أن يقوم فلم يستطع لشدة ما أوثقه أخوه بالحبال.

فبقي على حالته تلك إلى الغد.

فاجتازت قافلة وقصدت تلك العين التي في الكهف فوجدوا التاجر مكتوفاً، والسفرة منشورة، والأخ مذبوحاً وبيده السكين، فشاهدوا عجباً، وسألوا الرجل فأومأ إليهم أنه لا قدرة له على الكلام.

فحلوا كتافه وسقوه ماء وظلوا عنده حتى استعاد قدرته على النطق فأخبرهم الخبر.

فطلبوا المعاون فوجدوه غريقاً في الماء، قد غرَّقه الأخ الفقير، فحملوا معهم التاجر وسيَّروه إلى منزله.

القصة الثامنة والعشرون: البغي مرتعه وخيم

حدَّث أبو القاسم إبراهيم بن علي الصفّار عن جار له من أهل نصيبين قال:

خرجتُ من نصيبين بسيفٍ نفيس كنت قد ورثته من أبي، أقصد به العباس بن عمرو السلمي أمير ديار ربيعة لأهديه له طمعاً في أن يهب لي مالاً كثيراً.

فصحبني في الطريق شيخ من الأعراب، فسألني عن أمري، فوثقت به وحدَّثته الحديث، وكنا قد اقتربنا من بلدة رأس العين حيث مقر أمير ديار ربيعة.

ولما دخلناها افترقنا.

ثم صار الأعرابي يزورني ويسلم عليَّ ويظهر لي الود ويسأل عن أحوالي، فأخبرته أنَّ الأمير قبل هديتي وأجازني بألف درهم وثياب، وأني أريد الخروج يوم كذا عائداً إلى بلدي.

فلما كان ذلك اليوم خرجت من البلد راكباً حماراً.

فلما دخلت الصحراء إذا بالشيخ الأعرابي على دويبة له ضعيفة متقلداً سيفاً.

فلما رأيته أنكرت حاله، واستربت أمره، ورأيت الشرَّ في عينيه.

فقلت: ما تصنع؟

قال: قد قضيتُ حوائجي وأريد الرجوع، وصحبتك عندي أفضل من صحبة غيرك.

قلتُ: توكلنا على الله.

وما زلت آخذاً حذري منه، وهو يجتهد أن أقترب منه فلا أفعل، وكلما اقترب مني تباعدت عنه، حتى سرنا طويلاً في الصحراء.

فتأخر الأعرابي عني، فقلت لنفسي: هذه فرصتي للهرب منه.

فما أحسست إلا به يركض نحوي، فالتفتُّ فإذا هو قد جرّد سيفه وقصدني، فنزلت عن حماري أركض هارباً!

فلما شعر أني سأفوته صاح: يا أبا القاسم إنما مزحت معك فقف!

فلم ألتفت لكلامه بل زدت في سرعة ركضي.

وظهر لي موضع من حجارة يدفن فيه الموتى، فدخلته ووقفت وراء الباب.

وكان من صفات ذلك الموضع أنه مبني بالحجارة بشكل محكم، ولكل غرفة فيه باب عظيم من حجر، له في الواجهة حلقة، وليس له من الداخل

شيء تمسكه اليد، وإنما يدفع من خارجه فيفتح فيدخل إليه، وإذا خرجتَ منه وجذبت الحلقة انغلق الباب فلا يمكن فتحه من الداخل أبداً.

فلما دخلت ذلك الموضع وقفتُ خلف الباب، وجاء الأعرابي فربط دابته ثم دخل خلفي مخترطاً سيفه، والمكان مظلم فلم يرني، فلما توسط في المكان خرجتُ وجذبت الباب بشدة، وأغلقت حلقته بإحكام.

فجاء الأعرابي إلى الباب، وعاين الموت فصاح: يا أبا القاسم، اتق الله في أمري فإنني سأهلك هنا.

فقلت له: تهلك أنت خير من أن أهلك أنا.

قال: فأخرجني ولك الأمان، وأقسم بالله لا أعرض لك بسوء، واذكر ما كان بيننا من صحبة في السَّفر!

قلت: لم ترع أنت حق الصحبة، وأيمانك فاجرة، ومقصدك سفك دمي وسلب مالي.

فأخذ يكرر الكلام، فقلت له: دع عنك هذا الكلام واقعد مكانك فإني الآن مشغول بركوب حمارك والذهاب لدابتي، والوعد بيننا بعد سنة، وإن جعتَ فعندك جيف العلوج المدفونين هنا.

وأخذت أهزأ به وهو يبكي ويستغيث ويقول: قتلتني والله.

فقلت: قتلك بغيك وعدوانك لعنة الله عليك!

ثم تركته ومضيت وقد أخذت دابته وما عليها من ثياب، وعدت إلى بلدي نصيبين.

فلما كان بعد أكثر من سنة عرض لي الخروج إلى رأس العين، فخرجت في تلك الطريق، فلما لاح لي ذلك المكان تذكرت الأعرابي فقلت أعدل لأنظر ما صار إليه.

فجئت وفتحت الباب وإذا بالأعرابي قد صار عظاماً بالية، فحمدت الله على السلامة.

ثم حرّكته برجلي، وقلت له أهزأ به: كيف حالك يا فلان؟

فإذا بصوت شيء يتخشخش، ففتشته فإذا هميانٌ (الهميان: كيس يجعل فيه النقود ويشد على الوسط) فيه خمسمائة درهم فأخذته وأخذت سيفه ومضيت.

القصة التاسعة والعشرون: الشّبكة

حدَّث محمد بن بديع العُقيلي قال:

رأيت فتىً من بني عُقيل ظهره كلَّه شُرَط كشُرَط الحجّام إلا أنها أكبر، فسألته عن سبب ذلك فقال:

إني كنت قد هويت ابنة عم لي وخطبتها، فقالوا لي: إنا لا نزوجك إيّاها إلا أن تجعل الشبكة صداقها، والشبكة فرس مشهورة بالسبق، يملكها رجل من بني بكر بن كلاب.

فتزوجتها على هذا الشرط، وخرجت أحتال في سرقة الفرس حتى أتمكن من الدخول بابنة عمي.

فأتيت الحي الذي فيه الفرس في صورة عابر سبيل، وما زلت أداخلهم وآتي إلى الخباء الذي فيه صاحب الفرس كأني سائل، حتى عرفت مربط الفرس، ورأيت عندها مهرة.

فاحتلت وتسللت إلى الدار واختبأت خلف كومة صوف كبيرة في زاوية الخيمة.

فلما جنّ الليل حضر صاحب البيت وقد صنعت له المرأة عَشاءً، فجلسا يأكلان والظلمة شديدة ولا مصباح عندهم، وكنت جائعاً فأهويت بيدي إلى القصعة وأكلت معهما. (القصعة: وعاء كبير يتخذ للأكل)

فأحسَّ الرجل بيدي فأنكرها وقبض عليها، فقبضتُ على يد المرأة بيدي الأخرى، فقالت له المرأة: اترك يدي.

فظن أنه قابض على يد المرأة فترك يدي!

ثم واصلنا الأكل فأنكرت المرأة يدي وقبضت عليها، فقبضت على يد الرجل، فقال لها: اتركي يدي.

فخلَّت عن يدي وخلّيت عن يده!

فلما انقضى الطعام استلقى الرجل ونام.

فلما استثقل وافى عبدٌ له أسود فرمى بحصاة فانتبهت المرأة وقامت إليه وخرجتْ من الخباء إلى ظهر البيت ثم استلقت وعلاها العبد.

فانتهزت الفرصة فقمت إلى قيد الفرس فحللته، وكان معي لجام فوضعته في فمها وركبتها وانطلقت.

فقامت المرأة من تحت العبد، ودخلت الخباء وصاحت، فقام زوجها واجتمع الحي فركبوا في طلبي.

ولأنَّ الفرس سابقة لم يقترب مني إلا فارس واحد برمح له طويل، فلحقني وقد طلعت الشمس فأخذ يطعنني برمحه، فلا تصل طعنته إلى أكثر مما رأيت في ظهري، لا فرسه تلحقه بي، ولا فرسي تبعدني عن رمحه.

حتى وصلتُ قناة نهر فصحت بالفرس فوثبت، وصاح الفارس بفرسه فلم تثب.

فلما رأيت عجزها عن العبور نزلت عن فرسي لأستريح وأريحها، فصاح بي الرجل.

فقلت: ما لك؟

قال: يا هذا، أنا صاحب الفرس التي تحتك، وهذه ابنتها، فلا تخدعنَّ عنها فإنها تساوي عشر ديات، وما طلبتُ عليها شيئاً إلا لحقته، ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا فُتّه، وإنما سميت الشبكة لأنها لم تُرد شيئاً إلا أدركته واصطادته.

فقلت له: أما إذ نصحتني فوالله لأنصحنك، إنه كان من أمري البارحة كذا وكذا، حتى قصصت عليه قصة امرأته والعبد.

فقال: لا جزاك الله من طارق خيراً، أخذت فرسي، وقتلت عبدي، وطلقت ابنة عمي.

القصة الثلاثون: الرَّاهب

حدّث عبيدالله بن محمد بن الحفا، عن رجل من أهل الجند قال:

خرجتُ من بعض بلدان الشام وأنا على دابة لي، ومعي خرج لي فيه ثياب ودراهم.

فلما سرت عدة فراسخ واقترب الليل وإذا أنا بدير عظيم، فيه راهب في صومعة، فنزل واستقبلني، وسألني المبيت عنده وأن يضيفني فقبلت.

فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيره، فأخذ دابتي وطرح لها شعيراً، وعزل رحلي في بيت، وجاءني بماء حار، وكانت الليلة شاتية، وأوقد بين يديَّ ناراً، وجاءني بطعام طيب ونبيذ جيد فأكلتُ وشربت.

فلما مضت قطعة من الليل وأردت النوم قلتُ أدخل الحمّام قبل أن أنام، فسألته عنه فدلني على طريقه.

فلما صرت على باب الحمّام إذا خشبة فوق فتحة حفرة، فلما صارت رجلاي عليها سقطت فإذا أنا في الصحراء.

وكان الثلج يسقط بغزارة، فصحت أناديه وهو يسمعني فلا يرد.

فقمت وقد تجرح بدني فقعدت إلى جانب جدار الدير ولم أشعر إلا بسيل من الحجارة لو تمكن شيء منها من رأسي لطحنه.

فخرجتُ أعدو وصحتُ به فشتمني، فعلمت أنَّ ذلك من حيلته ليسلب متاعي.

فلما سرت وقع الثلج عليَّ فعلمت أني هالك من البرد، فهداني الله إلى حيلة، وهي أن أطلب حجراً ضخماً فأحمله وأجري به، فإنَّ ذلك يسخن جسدي ويجري الدم في عروقي ويحميني من الموت تجمداً، فإذا تعبت استرحت، فإذا عاودني البرد عدت للجري وأنا أحمل الحجر.

فأمضيت ليلتي على هذا الصنيع وأنا أحاول عدم الابتعاد كثيراً عن الدير.

فلما اقترب الفجر وأنا خلف الدير سمعت حركة الباب فتخفيت.

فإذا بالراهب قد خرج وجاء إلى موضع سقوطي، فلما لم يجدني جعل يبحث عني ويقول: ترى ما فعل هذا المشؤوم؟

فخالفته إلى باب الدير فدخلته واختبأت خلف الباب.

وكان في وسطي سكين، فلما لم يجد الراهب لي أثراً عاد ودخل، فثرت إليه ووجأته بالسكين وذبحته وأغلقت الباب.

ثم صعدت إلى الغرفة واصطليت بنار موقدة هناك حتى دفئت، وفتحت خرجي فلبست ثياباً جافّة، وأخذت كساء الراهب فتدثرت به ونمت إلى العصر.

فلما استيقظت طفت بالدير حتى وقفت على طعام فأكلت منه، ووجدت مفاتيح بيوت الحصن، فأقبلت أفتحها واحداً واحداً، فإذا بمال عظيم وثياب وآلات ورحال أقوام وأخراجهم.

وإذا تلك عادة الرَّاهب مع كل من يجتاز به وحيداً ويتمكن منه.

فلبست ثياب الراهب وأقمت بموضعه أيّاماً أتراءى لمن يجتاز بالموضع فلا يشكون في الأمر.

ثم نزعت تلك الثياب ولبست بعض ثيابي وأخذت جواليق فملأتها مالاً، وحملتها على الدابة ومضيت إلى أقرب قرية فاكتريت بها منزلاً، ولم أزل أنقل إليها الأموال التي في الدير والأمتعة.

ثم اشتريت دوابًّا وجاءت قافلة فسرت معهم إلى بلدي وقد حصّلت غنيمة هائلة وسلمت من الموت.

القصة الحادية والثلاثون: الأسود الخطير

حدَّث أبو علي أحمد بن علي المدائني قال:

كنت أسير من الشام أريد العراق، فلما انتهيت إلى قرية في بعض الطريق لقيني خراساني.

فقال: أين تريد؟

قلت: بغداد.

قال: أنا رفيقك.

فاصطحبنا وسرنا إلى قريةٍ خرابٍ على شاطئ الفرات في بريَّة الشّام.

فرأينا على باب القرية رجلاً أسود، منكر الخلقة، عرياناً لا يواريه شيء البتَّة، فعدا هارباً منّا.

فدخلنا القرية وجلسنا في دارٍ خراب على شاطئ الفرات، وأخرجنا زاداً معنا وجلسنا نأكل.

فرأينا الحجارة تأتينا متلاحقة، حتى خفنا أن نهلك، ولم نستطع القيام إلا بجهد، ونظرنا وإذا بالأسود يرجمنا، فانطلقنا نحوه، وانطلق هو أيضاً نحونا.

فلما تداخلنا حاول العبد القبض عليَّ فلم يستطع، فقبض على الخراساني، وما زالا يتعاركان معركة شديدة، ثم انكبَّ على كتف الخراساني فعضّه.

فصاح الخراساني: يا بغدادي أدركني فقد قتلني.

فدنوت من خلف الأسود وقبضت على خصيتيه بأقوى ما أستطيع، ولكمتها لكمات شديدة، فخرَّ مغشيًّا عليه، وقام الخرساني فجلس على صدره وخنقه حتى مات.

وسرنا والخراساني يصيح من ألم العضّة حتى وصلنا إلى قريةٍ عامرة، وصحنا بملاح وركبنا زورقه لنعبر إلى القرية.

ولكنَّ الخراساني سقط على الأرض كالتَّالف.

فشجّعته وقلت له: ما لك؟ إنها مجرد عضّة.

فقال: ويحك، انظر إليها.

فنظرت فإذا هي قد أخذت جزءاً كبيراً من كتفه، واسودَّ موضعها، واحمرَّ بدنه كلُّه.

فحملته أنا والملاح حتى صعدنا الزورق وعبرنا، فلما صرنا بقرب الشاطئ مات الخراساني.

فاجتمع أهل القرية وسألوني عن شأنه فحدَّثتهم الحديث.

فقالوا: رحم الله صاحبك، والحمد لله الذي سلَّمك وأراحنا من ذلك العبد. هذا عبدُ آل فلان، أصابه داء الكلب فتغرَّب في تلك الخرابات، وقد قتل خلقاً بالعضّ.

وتبادر القوم ليتأكدوا من موت الأسود، وسرت أنا في طريقي، وحمدت الله على سلامتي من ذلك الأسود اللعين.

القصة الثانية والثلاثون: حرمة الضيف

حدَّث أبو الحسن المدائني قال:

هجا القمير التغلبي الوليد بن عبدالملك فقال:

أتنسى يا وليدُ بلاءَ قومي بمسكنَ والزبيريون صِيدُ

أتنسانا إذا استغنيت عنّا وتذكرنا إذا صلَّ الحديدُ

فطلبه الوليد فهرب منه.

فلما ضاقت به البلاد، واشتدَّ به الخوف، أتى دمشق مستخفياً، حتى حضر عَشاء الوليد فدخل مع النَّاس.

فلما أكل بعض الأكل عرفه رجلٌ إلى جانبه فأخبر الوليد.

فدعا بالقمير وقال له: يا عدو الله، الحمد لله الذي أمكنني منك بلا عقد ولا ذمة، أنشدني ما قلت.

فتلكَّأ ثم أنشده.

فقال له الوليد: ما ظنك بي؟

فقال: إني قلتُ في نفسي: إن أُمهلت حتى أطأ بساطه، وآكل طعامه فقد أمنت، وإن عوجلت قبل ذلك فقد هلكت. والآن قد وطئتُ بساطك يا أمير المؤمنين، وأكلتُ طعامك فقد أمنتُ.

فقال له الوليد: قد أمنت فانصرف راشداً.

فلما ولَّى تمثل الوليد قائلاً:

شُمس العداوة حتى يُستقاد لهم وأعظمُ النّاس أحلاماً إذا قدروا

القصة الثالثة والثلاثون : تميم بن جميل

حدَّث أحمد بن أبي دؤاد قال:

ما رأيتُ رجلاً قط نزل به الموت وعاينه فما أدهشه ولا أذهله ولا أشغله عمّا أراده وأحبَّ أن يفعله حتى بلغه وخلَّصه الله من القتل إلا تميم بن جميل الخارجي، فإنَّه كان قد تغلَّب على شاطئ الفرات، فطلبه المعتصم ليقبض عليه فتمكن منه.

فرأيته وقد بُسط له النَّطع وأحضر السيّاف، فجعل تميم ينظر إليهما، وجعل المعتصم يُصَعِّد النظر فيه ويُصَوِّبه.

وكان تميم رجلاً جميلاً وسيماً، فأراد المعتصم أن يستنطقه لينظر أين قلبه ولسانه من منظره وشكله.

فقال له المعتصم: يا تميم، تكلم إنْ كان لك حجة أو عذر فأبده.

فقال: "أما إذ أذن أمير المؤمنين بالكلام فإني أقول: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعله نسله من سلالة من ماء مهين.

يا أمير المؤمنين، جبر الله بك صدع الدِّين، ولمَّ شعث المسلمين، وأخمد بك شهاب الباطل، وأوضح نهج الحق.

إنَّ الذنوب تخرس الألسنة، وتعمي الأفئدة. وأيم الله لقد عظمت الجريرة، وانقطعت الحجة، وكبر الجرم، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما مني وأسرعهما إليَّ أولاهما بإمامتك، وأشبههما بخلافتك، وأنت إلى العفو أقرب، وهو بك أشبه وأليق".

ثم تمثل بهذه الأبيات:

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً ... يلاحظني من حيثما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي امرئ مما قضى الله يفلت؟
ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت؟
يعز على الأوس بن تغلبَ موقفٌ ... يهز عليَّ السيف فيه وأسكت
وما جزعي من أن أموت وإنني ... لأعلم أنَّ الموت شيء مؤقت
ولكنَّ خلفي صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتتُ
كأني أراهم حين أنعى إليهمُ ... وقد لطموا تلك الخدود وصوتوا
فإن عشتُ عاشوا في الحياة بغبطةٍ ... أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
فكم قائل لا يبعد الله داره ... وآخر جذلان يسر ويشمتُ

فتبسم المعتصم ثم قال: أقول كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إنَّ من البيان لسحرا). يا تميم، كاد والله يسبق السيف العذل، اذهب فقد غفرت لك الهفوة، وتركتك للصبية، ووهبتك لله.

ثم أمر بفك قيوده، وخلع عليه، وعقد له ولاية على شاطئ الفرات، وأعطاه خمسين ألف دينار.

القصة الرابعة والثلاثون: أسرى وضيوف

أُتي معن بن زائدة بأسرى، فعرضهم على السَّيف.

فقال بعضهم: نحن أسراك أيها الأمير، ونحن نحتاج إلى شيء من الطعام.

فأمر لهم بذلك.

ثم أتي بالأنطاع فبسطت، وأتي بالطعام.

فقال الرجل لأصحابه: امضوا في الأكل.

ومعنٌ ينظر إليهم ويتعجب من صنيعهم.

فلما فرغوا من أكلهم قال الرجل: أيها الأمير قد كنَّا قبلُ أسراك، ونحن الآن أضيافك، فانظر ماذا تصنع بأضيافك؟

فعفا عنهم وخلّى سبيلهم.

فقال له بعض من حضر: ما ندري أيها الأمير أيَّ يوميك أشرف؛ يوم ظفرك أو يوم عفوك؟

القصة الخامسة والثلاثون: المعروف لا يضيع

حدّث أبو الحسن محمد بن عمر الزيدي قال:

لما حبست في قلعة خست قريباً من نيسابور، كان صاحب القلعة الموكل بحراستي يؤانسني بالحديث.

فحدّثني يوماً أنَّ هذه القلعة كانت في يد رجل كان راعياً ثم صار قائداً فاستولى على القلعة وجمع إليه مجموعة لصوص، وامتهنوا قطع الطريق والإغارة على القرى وسلب الآمنين.

واستمروا على ذلك إلى أن حاصرهم أبو الفضل بن العميد، وافتتح القلعة وسلمها إلى عضد الدولة.

وكان في فترة محاصرته لهم ربما نزلوا فحاربوه.

وفي إحدى الوقعات ظفر منهم بنحو خمسين رجلاً فأراد قتلهم بطريقة ترعب الباقين.

فصعد بهم على جبل شاهق قريباً من القلعة وهم ينظرون، ثم صار يرمي بالأسرى فلا يصل الواحد منهم إلى القرار إلا قطعاً.

لكنَّ غلاماً واحداً رمى به فجرح لكنّه سلم فكبَّر النّاس وضجّوا وطلبوا مسامحته.

فاستحى أبو الفضل منهم فعفا عنه، وقال له: اصدقني عن سريرتك مع الله التي نجّاك بها هذه النجاة.

قال: ما أعلم ما يوجب لي هذا، وقد كنت غلاماً أمرد مع أستاذي فلان الذي هو أحد من قتل الساعة، وكان يأتي مني الفاحشة، ويخرجني معه نقطع الطريق ونقتل الأنفس وننهب الأموال ونهتك الحُرَم.

فقال له الفضل: فكنت تصلي وتصوم؟

قال: ما أعرف الصلاة، وما صمت قط، ولا فينا من يصوم.

قال: فكنت تتصدق؟

قال: ومن يأتينا حتى نتصدق عليه؟

قال: فهل فعلت خيراً قط في حياتك؟

قال: ما أظنني فعلت خيراً قط إلا أنَّ أستاذي سلَّم إليَّ منذ سنين رجلاً كان قد أسره في بعض الطرقات بعد أن أخذ جميع ما معه وصعد به إلى القلعة، ثم قال له: اشتر نفسك بمال تستدعيه من أهلك وإلا قتلتك.

قال الرجل: ما أملك من الدنيا إلا ما أخذت مني.

فعذّبه أيّاماً ثم دفعه إليَّ وقال: اذهب به إلى الموضع الفلاني فاذبحه وأحضر لي رأسه.

فأخذته إلى ذلك الموضع وهو يبكي ويلطم ويتضرع ويناشدني الله أن أرحمه شفقةً ببناته وأطفاله الذين لا كاسب لهم سواه.

فأوقع الله له رحمة في قلبي فقلت له: خذ حجراً واضرب به رأسي حتى يسيل دمي ثم امض هارباً.

فقال: كيف أكافئك على خلاصي بشج رأسك.

قلت: افعل فلا طريق لخلاصك وخلاص نفسي إلا هكذا.

ففعل وتركني وطار عدواً، وجلست في موضعي حتى رأيت أنه قد بعد؛ رجعت إلى أستاذي فقال لي: ما بالك؟ وأين الرأس؟

فقلت: سلمتني شيطاناً، ما إنْ وصلنا إلى الصحراء حتى صارعني فطرحني على الأرض وشدخني بالحجارة وطار يعدو، فغشي عليَّ فلما أفقت أتيتك.

فأنزل خلقاً خلفه فلم يقفوا له على أثر.

فإن يكن الله خلصني من هذا الجبل فلهذا.

فجعله أبو الفضل من حُرَّاس قصره، ورتّب له مرتّباً شهريًّا، وصار من خاصة جلسائه.

القصة السادسة والثلاثون: الفرج عند الله

حدّث الهيثم بن الأسود النخعي قال:

وجَّهني عبيدالله بن زياد إلى يزيد بن معاوية رسولاً في حاجته.

فلما دخلت وجدت خارجيًّا بين يدي يزيد يخاطبه.

فقال الخارجي من ضمن مخاطبته ليزيد: يا شقي!

فقال له: والله لأقتلنك شر قِتلة.

فحرَّك الخارجي شفتيه.

فقال له: ما تقول:

قال: أقول:

عسى فرج يأتي به الله إنه ... له كل يوم في خليقته أمر

إذا اشتد عسر فارج يسراً فإنه ... قضى الله أن العسر يتبعه اليسر

فقال يزيد: أخرجوه واضربوا عنقه.

عندها دخل الهيثم بن الأسود –وكان مقرَّباً من يزيد- فقال له: يا أمير المؤمنين هب مجرم قوم لوافدهم.

فقال: هو لك.

فأخذ الهيثم بيده فأخرجه، فخرج وهو يقول:

الحمد لله، تعالى على الله فأكذبه، وغالب الله فغلبه.

القصة السابعة والثلاثون: أنجاه حسن المنطق

حدَّث المدائني قال:

جعل الحجَّاج يقتل عامَّة الأسرى، وبقيت منهم جماعة قليلة، وأُتي برجل ليضرب عنقه فقال: يا حجّاج، والله لئن أسأنا في الفعل فما أحسنت في العقوبة، وإن كنَّا لؤمنا في الجناية فما كرمت في العفو.

فقال الحجاج: أعد عليَّ ما قلت.

فأعاد الكلام.

فقال الحجَّاج: صدقت والله، أفٍّ لهذه الجيف، أما كان فيها أحد ينبهنا كما نبهنا هذا؟ أطلقوه وباقي الأسرى، فأطلقوهم.

القصة الثامنة والثلاثون: الحمد لله وحده

حدَّث المدائني قال:

أتي الحجّاج بقوم ممن خرجوا عليه، فأمر بهم فقتلوا، وأقيمت الصلاة وقد بقي منهم رجل واحد.

فقال الحجّاج لعنبسة: انصرف بهذا معك، واغد به عليَّ.

قال عنبسة: فخرجت به، فلما كان في بعض الطريق قال لي: هل فيك خير يا فتى؟

قلت: وما ذاك؟

قال: إني والله العظيم ما خرجت على المسلمين قط، وعندي ودائع وأموال، فتخلي عني حتى آتي أهلي فأرد على كل ذي حق حقه وأجعل لك عهد الله أني أرجع غداً.

فتعجبت منه وتضاحكت به.

فمضينا ساعة، فأعاد عليَّ القول، فقلت: اذهب، فذهب.

فلما توارى عني شخصه أسقط في يدي، فأتيت أهلي وأخبرتهم الخبر فقالوا: لقد تجرأت على الحجّاج.

وبت بأطول ليلة همًّا وغمًّا.

فلما طلع الفجر إذا به قد جاء.

فقلت: أرجعت؟

قال: سبحان الله! جعلتُ الله عَزَّوَجَلَّ لك كفيلاً ثم لا أرجع.

فانطلقت به إلى الحجَّاج.

فقال: أين أسيرك؟

قلت: بالباب، وقد كانت لي وله قصة.

قال: ما هي؟

فأخبرته الخبر وأدخلته عليه.

فقال لي: أتحب أن أهبه لك؟

قلت: نعم.

قال: هو لك.

فأخرجته معي وقلت له: خذ أي طريق شئت.

فرفع طرفه إلى السماء وقال: الحمد لله، وانصرف وما كلمني كلمة.

فقلت في نفسي: هذا مجنون!

فلما كان من الغد أتاني وقال: يا هذا، جزاك الله خيراً، والله ما جهلتُ ما صنعتَ ولكني كرهتُ أن أشرك في حمد الله أحداً.

القصة التاسعة والثلاثون: الفيل

حدَّث إبراهيم الخوّاص قال:

ركبتُ البحر مع جماعة فغرق بنا المركب، ونجا قوم على لوح من خشب المركب، وكنت فيمن نجا.

فلما وصلنا إلى السَّاحل في مكان لا ندري أين هو، وأقمنا أيّاماً لا نجد طعاماً، فأحسسنا بالموت، فقال بعضنا لبعض: تعالوا ننذر لله لعله يخلصنا من هذه الشدة.

فقال أحدنا: أصوم الدهر كله.

وقال ثان: أصلي لله كل يوم مائة ركعة.

وقال ثالث: أدع لذّات الدنيا.

ونذروا كلهم، وبقيت أنا ساكت لا أدري ما أقول.

فقالوا: لم يبق سواك، قل شيئاً.

فلم يقع في خلدي إلا أن أقول: لله عليَّ أن لا آكل لحم فيل أبداً.

قالوا لي: ما هذا النذر؟

قلت: والله ما أوقع الله في نفسي ولا أجرى على لساني إلا بما قلتُ، ولعلَّ فيه حكمة.

ثم إننا بعد ساعة أخذنا الجوع، فتفرقنا نبحث عن طعام وتواعدنا عند شجرة.

فلما اجتمعنا إذا بأحدنا قد أتى بولد فيل صغير، فذبحوه وشووه وقعدوا يأكلون.

فقالوا لي: تعال فكل.

قلت: قد عاهدت الله كما تعلمون أن لا أطعم لحم فيل أبداً، ولعل الله تعالى أجرى ذلك على لساني ليكون سبباً في موتي.

ثم أقبل الليل فتفرقنا للنوم.

فلم تمض لحظات حتى أقبل فيل عظيم ينعر، والأرض تتدكدك من تحته، وهو يطلبنا.

فقال بعضنا لبعض: قد حضر الأجل فتشهدوا.

فأخذنا في التسبيح والتهليل والاستغفار والتشهد.

فجعل الفيل يقصد واحداً واحداً منّا فيشمه من أول جسده إلى آخره، فإذا لم يبق منه موضع إلا شمه؛ شال إحدى قوائمه فوضعها عليه ففسخه.

فإذا علم أنه قد مات ذهب إلى الآخر وفعل به مثل ذلك، وأنا جالس أشاهد هذا الهول وأستغفر الله وأسبح.

فقصدني الفيل فحين رآني رميت بنفسي على الأرض، فشمّني من أول جسدي إلى آخره مرتين أو ثلاثاً وروحي تكاد تخرج فزعاً.

ثم لفَّ خرطومه عليَّ وشالني في الهواء فجعلني على ظهره وانطلق يهرول الليل كله.

حتى إذا طلع الفجر لفَّ خرطومه عليَّ وأنزلني إلى الأرض ومضى، وأنا غير مصدق أنه تركني.

فلما غاب عني مشيت نحو فرسخين فإذا بي أصل إلى بلدة كبيرة، فدخلتها وسألتهم أن يطعموني، وأخبرتهم خبر الفيل فعجبوا من ذلك.

فأقمت عندهم مدة، ثم يسر الله مركب تجار فركبت معهم وعدت إلى بلدي وقد رزقني الله السّلامة.

القصة الأربعون: الصدقة تدفع مصارع السوء

حدَّث أبو بكر محمد بن بكر الخزاعي قال:

كان لامرأة ابنٌ غاب عنها غيبةً طويلة حتى أيست منه.

فبينما هي ذات يوم تأكل طعاماً، وحين أهوت بلقمة إلى فمها وقف بالباب سائل يستطعم، فردت اللقمة وحملتها مع تمام الرغيف وتصدقت بها، وبقيت جائعة يومها وليلتها.

فما مضت إلا أيام يسيرة حتى قدم ابنها، فأخبرها بشدائد مرَّت به، وقال: إنَّ أعظم ما جرى عليَّ أني كنت منذ أيّام أسير في غابة في الموضع الفلاني، إذ خرج عليَّ أسد ضخم، فقفز عليَّ وأنا فوق ظهر حماري، وأسرع الحمار هارباً!

ونشبت مخالب الأسد في مرقعة كانت عليَّ وتحتها ثيابٌ وجُبَّة (درع) فلم يصل إلى بدني قدر كبير من مخالبه إلا أني تحيرت ودهشت وذهب أكثر عقلي من الخوف والفزع وتوقع الهلاك، والأسد يحملني حتى أدخلني أجمةً كثيرة الشجر وبرك عليَّ يريد افتراسي.

فرأيتُ رجلاً عظيم الخلق، أبيض الوجه والثياب، قد جاءني حتى قبض على الأسد من غير سلاح وشاله وخبط به الأرض وقال: اذهب، لقمة بلقمة.

فقام الأسد يهرول، وثاب (رجع) إليَّ عقلي، فطلبت الرجل فلم أجده، وجلست إلى أن قوي جسمي فمشيت حتى لحقت بالقافلة، فتعجبوا من أمري، فحدثتهم حديثي وأنا لا أدري ما قوله: لقمة بلقمة.

فنظرت أمه فإذا هو الوقت الذي أمسكت اللقمة عن فيها وتصدّقت بها مع طعامها على المسكين.

القصة الحادية والأربعون: الطبيب الحاذق

حدّث أبو الحسن علي بن الحسن الصيدلاني قال:

كان عندنا بسوق الأربعاء (بلدة بالأحواز) غلام لحقه وجع شديد في معدته بلا سبب يُعرف، وكانت معدته تضرب عليه من الألم ضرباً شديداً حتى كاد يتلف، وقلَّ أكله ونحل جسمه.

فحمل إلى الأهواز وعولج بكل شيء فما نفع فيه دواء فردوه إلى بيته وقد أيسوا منه.

فاستدعى والده طبيباً حاذقاً، فقال له الطبيب: اشرح لي حالتك يا ولدي من قبل إصابتك بهذا الداء بأسبوع، ما عملتَ؟ وأين ذهبتَ؟ وماذا أكلت؟

فتحدَّث الولد بكل شيء يذكره، وذكر من ضمن ذلك أنه دخل بستاناً لأبيه، وكان في بيت البقر منه رمَّان كثير قد جمع للبيع، فأكل منه عدة رمَّانات.

فقال له الطبيب: كيف كنت تأكل؟

قال: أعض رأس الرمانة بفمي ثم أرمي بها وأكسرها وآكلها قطعاً.

فقال: قد عرفت علتك، وغداً آتيك بالدواء إن شاء الله تعالى.

فلما كان من الغد جاءه بقدر فيه لحم، وقال له: كل من هذا.

قال: وما هذا؟

قال: طعام نافع، فكل منه حتى تشبع.

فأكل حتى امتلأ بطنه، ثم أطعمه بطيخاً، وسقاه شراباً فيه ماء دافئ مخلوط بعشبة ذات رائحة نفّاذة.

ثم قال له: أتدري ماذا أكلت؟

قال: لا.

قال: فإنه لحم كلب قذر.

فلما سمع الغلام ذلك اندفع فقذف كل ما في بطنه.

فأقبل الطبيب يتأمل قذفه فرأى فيه شيئاً أسود يتحرك، فأخذه.

ثم قال للفتى: احمد الله فقد برئت، انظر إلى هذا القراد. إني قد توقعت أن المكان الذي أكلت فيه الرمان فيه هذه الحشرة، وقد دخلت إحداها في إحدى الرمانات إلى بطنك وعلقت بمعدتك تمتصها. وعلمتُ أن القراد يهش إلى لحم الكلب فأطعمتك إياه، وقد قدَّرت أنَّ القراد سيعلق باللحم ويخرج معه إذا قذفته، فالحمد لله الذي يسَّر علاجك، واحذر أن تأكل شيئاً لا تدرى ما فيه.

القصة الثانية والأربعون: القطيعي

حدّث أبو الحسن علي بن الحسن الصّلحي قال:

رأيت بمصر طبيباً مشهوراً يُعرف بالقطيعي، كان يقال إنه يكسب كل يوم ألف درهم من السلطان والعسكر وعامّة النّاس لحذقه في مهنة الطب.

وكان له دار قد جعلها شبه البيمارستان (المستشفى) من جملة داره، يأوي إليها المرضى من الضعفة الفقراء فيعالجهم ويطعمهم بالمجان.

وحدث أن أغمي على فتى من أبناء الرؤساء بمصر، فحمل إليه أهل الطب وفيهم القطيعي، فأجمعوا على موته إلا القطيعي، وتهيأ أهله لغسله وتكفينه.

فقال لهم القطيعي: دعوني أعالجه، فإن برئ وإلا ليس يلحقه أكثر من الموت الذي أجمع هؤلاء عليه.

فقبل أهله ذلك.

فقال: هاتوا غلاماً شديداً قويًّا، وهاتوا مقارع. فأتوه بذلك.

فقال للغلام: اضربه عشر مقارع بأشد ما تستطيع.

فضربه، ثم جسَّ القطيعي نبضه.

ثم قال: اضربه عشراً.

فضربه ثم جس نبضه وقال للأطباء: هل ينبض قلب الميت؟

قالوا: لا.

قالوا: تعالوا فإنَّ قلب هذا ينبض.

ثم قال للغلام: اضربه عشر مقارع.

فضربه فصاح الفتى، ثم تأوه وفتح عينيه وقال: أنا جائع.

فأطعموه فرجعت له قوته، ثم برئ.

فقال الأطباء للقطيعي: كيف عرفت أنه لم يمت؟

فقال: كنتُ مسافراً في قافلة فيها أعراب يحرسوننا، فسقط منَّا فارس فأغمي عليه، فعمد منهم شيخ فضربه ضرباً شديداً حتى أفاق، فقست عليه أمر هذا العليل.

القصة الثالثة والأربعون: ابن أبي حامد

حدّث أحمد بن عبدالله عن شيخ من دار القطن ببغداد قال:

كان لأبي بكر بن أبي حامد مكرمة طريفة، وهي أنَّ رجلاً يُعرف بعبدالواحد الصيرفي باع جاريته - وكان يهواها - على أبي بكر بن أبي حامد بثلاثمائة دينار.

فلما جنَّ الليل استوحش وحشةً شديدة، ولحقه هيمان وقلق وأسف على فراق الجارية حتى كادت نفسه تخرج.

فلما أصبح خرج إلى دكانه يريد التشاغل عما أصابه، فلم تذهب عنه حالته بل زاد عليه القلق والشوق.

فأخذ ثمن الجارية ثم أتى أبا بكر بن أبي حامد، فدخل عليه ومجلسه حافل، فسلم وجلس في أخريات النّاس حتى انفض المجلس ولم يبق غيره.

فأنكر أبو بكر بن أبي حامد حاله، وسأله إن كان له حاجة.

فسكت وسالت دموعه وشهق!

فرفق به ابن أبي حامد وقال له: قل ولا تستح عافاك الله.

فقال له: بعت أمس جارية كانت لي، وكنت أحبها، واشتريت لك أطال الله بقاءك، وقد أحسست بالموت أسفاً على فراقها.

ثم أخرج الثمن وقال له: أسألك بالله أن ترد عليَّ حياتي.

فتبسم ابن أبي حامد، وقال: لم بعتها إن كانت بهذا المحل من قلبك؟

فقال: أنا رجل صيرفي، وكان رأس مالي ألف دينار، فلما اشتريت هذه الجارية تشاغلت بها عن عملي فكسد وكدت أفتقر، ولم يبق معي من المال إلا أقله، وصارت تطالبني بالنفقة، فعلمت أني إن واصلت في هذا المسلك افتقرت.

فبدأتُ أقتر عليها في النفقة فساءت أخلاقها وتنغَّص عيشي، فقلت أبيعها وأستريح من أذاها وتستقيم عيشتي، وأتصبر على فراقها، ولم أعلم أنه سيلحقني هذا الأمر من فراقها، وأما الآن فإني أوثر الفقر على أن أعيش بدونها.

فقال ابن أبي حامد: يا فلان! فجاء خادم أسود.

فقال له: أخرج الجارية التي اشتريت لنا بالأمس.

فخرجت جاريتي.

فقال: والله ما وقعت عيني عليها إلا السّاعة، وقد وهبتها لك فخذها وخذ دنانيرك بارك الله لك فيها.

ثم قال للخادم: هات ألف درهم.

فجاء بها فدفعها إلى الجارية وقال لها: كنت أنوي كسوتك فجاء سيدك الآن، فخذي الدراهم ولا تحملي مولاك ما لا يطيق فتحصلين عند من لا يعرف قدرك كمعرفته، ولك عليَّ كلَّ سنة مثلها يجيء مولاك فيأخذها لك إذا شكرك ورضي طريقتك.

فقام الصيرفي يقبل يديه ويبكي ويدعو له.

ولم يزل المال واصلاً إليه كل سنة حتى مات ابن أبي حامد.

القصة الرابعة والأربعون: في أحسن تقويم

حدّث القاضي التنوخي قال:

وجدت في بعض الكتب أنَّ أبا موسى عيسى بن موسى بن محمد كان يحب زوجته حبًّا شديداً، فقال لها يوماً: أنت طالق إن لم تكوني أحسن من القمر!

فنهضت من عنده، واحتجبت عنه، وقالت قد طلقتني.

فبات في همٍّ عظيم.

فلما أصبح غدا إلى المنصور وأخبره الخبر، وقال: يا أمير المؤمنين إنْ طلقت مني تلفت نفسي غمًّا وكان الموت أحب إليَّ من الحياة.

فأحضر المنصور الفقهاء واستفتاهم، فكلهم قالوا: قد طلقت، إلا واحداً من أصحاب أبي حنيفة فإنه سكت.

فقال له المنصور: ما لك لا تتكلم؟

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾.

يا أمير المؤمنين: لا شيء أحسن من الإنسان.

فقال المنصور لعيسى بن موسى: قد فرّج الله عنك، والأمر كما قال، فأقم على زوجتك.

وراسلها أن أطيعي زوجك.

القصة الخامسة والأربعون: بين امرئ القيس وزوجته

حدّث عبدالملك بن عمير بن سويد اللخمي قال:

قدم علينا عمر بن هبيرة فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم، فسمرنا عنده.

فقال: يحدثني كل رجل منكم أحدوثة، وابدأ أنت يا أبا عمرو.

فقلت: أصلح الله الأمير، أحديث حقٍّ أم حديث باطل؟

قال: بل حديث حق.

قلتُ: فإنَّ امرئ القيس بن حجر الكندي أقسم أن لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين.

فجعل يخطب النساء، فإذا سألهنَّ قلن أربعة عشر فيتركهن.

فبينا هو يسير في الليل إذا برجل معه ابنة له كأنها القمر لِتَمِّه فأعجبته.

فقال لها: يا جارية، ما ثمانية وأربعة واثنين؟

قالت: أطباء الكلبة، وأخلاف النّاقة، وثديا المرأة.

فخطبها من أبيها، فزوجه لكنَّ المرأة اشترطت أن تسأله ليلة يأتيها عن ثلاث خصال، وأن يسوق لها مائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس. فقبل.

ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة، وأهدى إليها قربة سمن وقربة عسل وحُلّة قصب (ثوباً مطرَّزاً بشرائط الذَّهب).

فنزل العبد على عينِ ماء فنشر الحلة ولبسها فتعلقت بشجرة فانشقّت، وفتح القربتين وأطعم أهل الماء منهما.

ثم قدم على حيّ المرأة والرجال متغيبون، فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع إليها الهديّة.

فقالت له: أعلم مولاك أنَّ أبي ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً، وأنَّ أمي ذهبت تشق النفس نفسين، وأنَّ أخي يراقب الشمس، وأنَّ سماءكم انشقت، وأنَّ وعاءيكما نضبا.

فقدم العبد على مولاه وأخبره بما قالت.

فقال له: إنَّ أباها ذهب يحالف قوماً على قومه، وإنَّ أمها ذهبت تولد امرأة، وإنَّ أخاها يرعى ماشيته وينتظر غروب الشمس ليعود، وإنَّ الحلة قد انشقت، وإنَّ القربتين قد نقصتا، فاصدقني.

فاعترف العبد.

فقال له: إن عدت ثانية فعلتُ بك وفعلت.

ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه العبد، فنزلا منزلاً، فقام العبد ليستسقي من البئر فعجز، فأعانه امرؤ القيس فرمى به العبد في البئر ثم انصرف حتى أتى أهل المرأة فأخبرهم أنه زوجها.

فقالوا للمرأة: قد جاء زوجك.

فقالت: والله لا أدري أهو زوجي أم لا، ولكن انحروا له ناقة وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا فأكل العبد مما أطعموه.

ثم قالت: اسقوه لبناً حامضاً، فسقوه فشرب.

ثم قالت: افرشوا له عند الفرث والدم، ففرشوا له فنام.

فلما أصبحت أرسلت إليه أني أريد أن أسألك.

فقال: سلي ما بدا لك.

قالت: مم تختلج (تضطرب) شفتاك ؟

قال: لتقبيلي فاك.

قالت: مم يختلج كشحاك (الكشح: ما بين الخاصرة والضلوع) ؟

قال: لالتزامي إيّاك.

قالت: مم يختلج فخذاك ؟

قال: لتوركي إيّاك.

فقالت: عليكم بالعبد! شدوا وثاقه.

ومرَّ قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حيِّه واستاق مائة من الإبل ثم أقبل على زوجته.

فقيل لها: قد جاء زوجك.

قالت: والله ما أدري أهو زوجي أم لا؟ ولكن انحروا له ناقة وأطعموه من كرشها وذنبها. ففعلوا، فلما أتوه بذلك قال: أين الكبد والسَّنام؟ وأبى أن يأكل.

قالت: اسقوه لبناً حامضاً. ففعلوا، فقال: أين العسل والزُّبد؟ وأبى أن يشرب.

قالت: افرشوا له عند الفرث والدم. ففعلوا، فقال: أين القبة الحمراء وأين الخباء؟ وأبى أن ينام.

ثم أرسلت تسأله عن المسائل الثلاث.

فلما جاء قالت: مم تختلج شفتاك؟

قال: لشربي المشعشعات (المشعشعة: الخمر الممزوجة بماء).

قالت: مم يختلج كشحاك؟

قال: للبسي الحَبِرات.

قالت: مم يختلج فخذاك؟

قال: لركوبي السّابقات (الخيل الجياد).

فقالت: هذا هو زوجي فعليكم به واقتلوا العبد، فقتلوه.

قال ابن هبيرة: لا خير في سائر الحديث الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو، ولن يأتينا أحد بأعجب منه، فقمنا وانصرفنا، وأمر لي بجائزة.

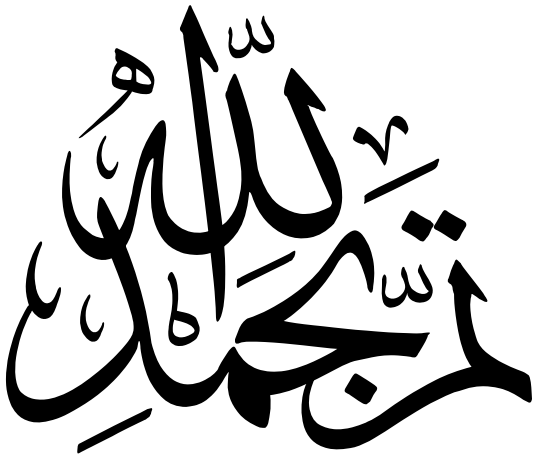
تم بحمد الله

الفهرس

مقدمة	٣
القصة الأولى: الهاتِف	٥
القصة الثانية : قوة التوكل	٨
القصة الثالثة : سلاح الدُّعاء	٩
القصة الرابعة : عقيدة العجائز	١٢
القصة الخامسة : الباب الذي لا يُغلق	١٣
القصة السادسة : حاضِر	١٤
القصة السابعة : عمرو بن بهنوى	١٧
القصة الثامنة : شابَت لحيته في ليلة	٢١
القصة التاسعة : سجين المَطْبَق	٢٥
القصة العاشرة : عمر بن هبيرة	٢٧
القصة الحادية عشرة : قيسبة	٣٠
القصة الثانية عشرة: المنام العجيب	٣٤
القصة الثالثة عشرة : الأعرابى الملحاح	٣٧
القصة الرابعة عشرة : الأوتاد الأربعة	٤٢
القصة الخامسة عشرة : إيثار نادر	٤٤

القصة السادسة عشرة : ابن أبي البغل ٤٦

القصة السابعة عشرة : لوزينجٌ بفستق ٤٨

القصة الثامنة عشرة : أذان منتصف الليل ٥٠

القصة التاسعة عشرة : الفالوذج الحارّ ٥٦

القصة العشرون : لا أحضر دعوة أو جنازة ٥٩

القصة الحادية والعشرون : تجليدٌ وجَلْد ٦٦

القصة الثانية والعشرون : بيت اللصوص ٦٨

القصة الثالثة والعشرون : نديم المهلهل ٧٢

القصة الرابعة والعشرون: محب البرامكة ٧٧

القصة الخامسة والعشرون: الرّاوية ٨٣

القصة السادسة والعشرون : كاتب الحجَّاج ٨٧

القصة السابعة والعشرون: عاقبة الغدر ٨٩

القصة الثامنة والعشرون: البغي مرتعه وخيم ٩٢

القصة التاسعة والعشرون: الشّبكة ٩٦

القصة الثلاثون: الرَّاهب ٩٩

القصة الحادية والثلاثون: الأسود الخطير ١٠٢

القصة الثانية والثلاثون: حرمة الضيف ١٠٥

القصة الثالثة والثلاثون : تميم بن جميل ١٠٧

القصة الرابعة والثلاثون: أسرى وضيوف ١١٠

القصة الخامسة والثلاثون: المعروف لا يضيع ١١١

القصة السادسة والثلاثون: الفرج عند الله ١١٤

القصة السابعة والثلاثون: أنجاه حسن المنطق ١١٦

القصة الثامنة والثلاثون: الحمد لله وحده ١١٧

القصة التاسعة والثلاثون: الفيل ١٢٠

القصة الأربعون: الصدقة تدفع مصارع السوء ١٢٣

القصة الحادية والأربعون: الطبيب الحاذق ١٢٥

القصة الثانية والأربعون: القطيعي ١٢٧

القصة الثالثة والأربعون: ابن أبي حامد ١٢٩

القصة الرابعة والأربعون: في أحسن تقويم ١٣٢

القصة الخامسة والأربعون: بين امرئ القيس وزوجته ١٣٤

الفهرس ١٤٠